روايات غاده

أحلام تدوم

www.elromancia.com
مرمورية

دار العلم للجميع
بيروت - لبنان

روايات غادة

www.elromancia.com
مرمورية

يطلب من مكتبة الصفاء
أبو ظبي
تلفون ٧٧٢٠٥٣

يطلب من دار إحياء العلوم
الدار البيضاء
تلفون 319411

يطلب من شركة دار الفكر
تونس
تلفون 564785

وكيل التوزيع الوحيد في الكويت
الطمي للنشر والتوزيع
تلفون ٣٧٢٨٩٩

١٠

الهروب العجيب

نظرت دايزي ويليامز إلى ساعتها . . إنها الحادية عشرة . . وعرفت أن أمها لن تأتي . . فأستدارت وعلى فمها ابتسامة مزيفة . . فهي لم تصدق حقاً أن أمها ستأتي ، مع أنها وعدتها عدة مرات . . لكن كان هناك دائماً أمل ولو صغير أن تكون مناسبة خطبة ابنتها الوحيدة دافعاً لها ، وهي الكاتبة الشهيرة ، أن تظهر . لكن دايزي تلقت ذلك المساء مكالمة من سكرتيرتها تقول لها أن السيدة شيبا نانيتغايل ، لديها ارتباط هام لمراجعة التجربة الاخيرة لكتابها الأخير قبل البدء بطباعته . وأنها ستحاول أن تحضر إذا لم يكن الوقت متأخراً .

لكنها لم تحضر . . وما فعلت هذا يوماً . لطالما كانت دايزي تتلقى نفس النوع من الأعذار من قبل ، في المدرسة ، حين كانت تنتظرها بفارغ الصبر لتخرج معها ، أو بانتظار عطلة ، لكنها كانت تلغى في اللحظة الأخيرة ، لتترك طفلتها مرتبكة باكية ، وهي مراهقة ، أخذت تحس بالألم الذي لم يكن يظهر إلاَّ في عينيها ، حتى الآن وهي في التاسعة عشرة ، وقد اعتادت على هذا ، كان الألم لا يزال موجوداً تخبئه وراء ابتسامة زائفة .

ـ هذه رقصتي كما أعتقد عزيزتي .

السيد ستيفنز، والد براين، تقدم ليضع يداً متملكة تحت مرفقها ويقودها إلى حلبة الرقص . . وابتسم لها قائلاً :

ـ لا تُحاولي التظاهر وكأن أمك ستتمكن من المجيء . . يا للعار . .

لكن مع أن أعمالها كثيرة، فليس هناك نساء كثيرات يمكن لهن أن يتخلين عن مناسبة مثل خطبة بناتهن ولو كان هذا لصالح أعمالهن .

ردت دايزي بجفاء :

ـ لا . . اتصور هذا .

ـ إنها امرأة رائعة أمك، لم التقِ بامرأة مثلها . . إنها دون أدنى شك أكثر امرأة ساحرة التقيت بها في حياتي .

أوه . . صحيح . . إنها فاتنة لا شك في هذا . . فجمالها، دفئها، ونشاطها كان لهم تأثير صارم يكسب محبة الناس ويجعلهم معجبين مخلصين لها مدى الحياة . وهذه الموهبة هي التي اسرت كل قرائها في كل أنحاء العالم، وساعدت أن تجعل منها احدى شهيرات راويات القصة في هذا العصر . . حتى في حياتها الخاصة، كما تذكر دايزي، كانت تفتن ابنتها مرة بعد أخرى لتتقبل منها تخلفها المستمر عن مواعيدها ووعودها معها ، تمطرها بالهدايا الثمينة، لتعد بالمزيد والمزيد من الوعود التي لم تكن قادرة يوماً على الحفاظ عليها .

ـ هل قررتما موعد الزفاف !

حاولت دايزي أن تعطي اهتمامها للسيد ستيفنز . . على أي حال ليست غلطته إن خذلتها أمها في أهم أيام حياتها . . وهو وزوجته كانا لطيفين جداً معها، وتقبلا مهمة دعوة الجميع بنفسيهما، أصدقائها واصدقاء براين معاً . . . وأجابته :

ـ ليس بعد . . مع أننا فكرنا بشهر أيلول، أي بعد حوالي الأربع

أشهر .

ـ رائع . . سيكون أمامكما الوقت الكافي لترتيب كل الأمور .

ثم تنحنح مكملاً :

ـ أتساءل . . أيمكن أن تكلمي شيبا . . أمك . . وتساليها إذا كانت ترغب في ترك ترتيبات الزواج لنا؟ أعرف كم هي مشغولة كل ما عليها أن تفعل أن تجتمع بنا مرة أو مرتين، على الغداء أو العشاء، وتعلمنا بما تريد أن تفعل، وتعطينا لائحة مدعويها . . وما إلى ذلك، وسيكون من دواعي سرورنا أن نريحها من هذا العمل المضجر .

ـ حسناً . . هذا على الأقل صحيح . . ستجد بكل تأكيد ترتيب زفاف ابنتها عمل مضجر . وأكمل والد خطيبها :

ـ ثم هناك والدك . . إنه في أوروبا . . أليس كذلك ؟

ـ أجل . . إنه يعيش في اسبانيا بشكل دائم الآن .

ـ أعطني عنوانه لأكتب له . . لا بد أنه يرغب في معرفة أنك ستتزوجي من عائلة محترمة . . ويجب أن نعرض عليه استضافته حين يجيء لحضور الزفاف .

حين انتهت الرقصة، جاء براين يطالب بها ليقدمها إلى زميلين له من أيام الدراسة . . لكن هذا قاطعه الوالد حين طلب سكوت الجميع والقى خطبة يرحب فيها بدايزي إلى العائلة . فابتسمت للجميع تأدباً وهي تتلقى التهاني، لكنها كانت ستكون أكثر رضى لو لم يذكر السيد ستيفنز اسم أمها ثلاث مرات .

ثم جاء دور براين لخطاب رد . . قام به بعد بضع صيحات تشجيع من الضيوف والأصدقاء . فبدأ بالقول . .

ـ يا إلهي ! هذه مفاجئة لي . .

ثم أكمل ليقدم خطاباً رائعاً . . لكن معاشرة دايزي للوسط الذي

تعيش فيه أمها جعلها تعرف الخطاب المحضّر سلفاً عن ما هو ارتجالي . . . وبدا براين فخوراً بنفسه . . حسناً من حقه هذا . . ففي سن الثانية والعشرين تخرج من الجامعة ويتطلع قدماً إلى مستقبل عملي آمن، أولاً كمساعد أول، ثم كشريك في مؤسسة والده المالية المشهورة في «وال ستريت» طوال عمره، كان يتم له كل شيء دون أي مجهود يذكر . . مجرد أن يكون ذكياً بما يكفي ليحصل على درجته الجامعية، مجرد أن يكون جيداً بما يكفي ليكون أول الداخلين إلى فريق «الرنجي» وأن يكون وسيماً بما يكفي ليخطب دايزي ويليامز الابنة الوحيدة لشهيرين من مشاهير العالم، الكاتبة القصصية شيبا نانينخايل والباحث الذري الكبير السير جوفرو ويليامز . . ولا يهم إطلاقاً أن يكون الزوجان منفصلان منذ زمن طويل، إلاّ أنهما لا زالا يجتمعان معاً، ولطالما برز اسماهما في أخبار الصحف الأولى بين اميركا وأوروبا .

انفجر التصفيق مجدداً لانتهاء براين من خطابه . . فالتفت إليها مبتسماً، فحاولت رد ابتسامته بنفس الدفء، لكنها لم تتمكن من هذا، ولم ينتبه للأمر أمام صيحات المدعوين الشباب بأن يقبّل الخطيب خطيبته، فأحنى رأسه ضاحكاً وقبّل خدها بقوة أكثر من اللازم، حتى أن الأصدقاء اطلقوا صيحات الاستهجان والتشجيع معاً .

بسرعة ابتعدت عنه محمرة الخدين . . ومرّ ما تبقى من الأمسية بين رقص وضحك وحديث مع النساء والفتيات . لكنها كانت تعي دائماً كيف كان والدا براين يرميان اسم أمها أو أبيها في الحديث بمناسبة أو دون مناسبة .

وهي تقف هناك تصغي، تبادر إلى ذهنها أن هذه الحفلة لم تقم إطلاقاً لأجلها ولأجل براين، بل على أمل أن تحضرها والدتها، وربما بعض من أصدقائها المشاهير .

أحست بذراع تلتف على خصرها، فالتفتت لتجد براين إلى جانبها يهمس لها :

- تعالي لنرقص .

تركته يقود الطريق بهما إلى حلبة الرقص، حيث جذبها إليه فتعثرت، لكنها ضحكت ووضعت يدها على كتفه، وضحك بدوره وضمها إليه .

- كل أصدقائي يسألونني متى الزفاف . . لكنني قلت لهم أن هذا مجرد إجراء رسمي . . ومن ينتظر هذه الأيام إلى أن يتم ؟

- أوه . . براين . . حقاً! ما كان يجب تقول هذا !

ضحك :

- لكن لا شيء أقوله حول هذا، أليس كذلك؟ تعالي دعينا نخرج من هنا .

جذبها نحو أبواب زجاجية تقود إلى الحديقة في الخارج . . كان هناك زوجين أو ثلاثاً يقفون في الظلام، مشغولين بعناق حميم ، فأخذها براين حول مبنى النادي نحو موقف السيارات . ووجدت دايزي نفسها تسير بصعوبة في الفستان الضيق الطويل الذي ترتديه فتوقفت لتسأله :

- انتظر! إلى أين نحن ذاهبان ؟

- إلى سيارتي . . تعالي .

- براين . . لا يمكننا هذا ! الناس سيلاحظون غيابنا .

- لا . . لن يلاحظوا شيئاً . . ثم ما الذي يهمنا لو لاحظوا ؟

- لأن المفروض أن هذه حفلة خطوبتنا .

- خمس دقائق فقط . تعالي حبيبتي . . لم نحظ بدقيقة لوحدنا طوال لأمسية، حتى أنني لم أستطع أن أقول لك كم أنت جميلة .

- خمس دقائق إذن .

- طبعاً .

وصلا إلى سيارته ذات السقف الجلدي، التي كانت هدية عيد ميلاده الواحد والعشرين من أبويه . . ما إن أصبحا في الداخل حتى أحاطها بذراعيه، وبدأ يقبلها، ويداه ساختنان لا تعرفان التصرف، تتعثران حول فتحة فستانها . تركته يفعل ما يشاء إلى أن أحست أنه تمادى كثيراً . . فدفعته عنها !

- لا ! قلت لي لخمس دقائق فقط !

- لم يمرّ علينا سوى دقيقتان بعد .

- لا . . لا أريد المزيد .

- بلى . . تريدين . . فنحن لم نبدأ بعد . .

تابع براين مغازلته بالتهويل تارة والإقناع أخرى وبدا لها أن يداه تجولتا في كل مكان . . وشهقت حين أنزل مقعدها إلى الوراء ومال فوقها .

- لا براين . . لا ! .

لكن صوتها لم يخرج كما أرادت له، ويداها لم يكن فيهما ما يكفي من قوة لردعه بعيداً عنها . . استكانت لفترة قصيرة ثم انفجرت «لا !» ودفعت نفسها لتجلس وتدفعه بعنف عنها .

- ابتعد عني، أو سأصرخ وأحطم الدنيا على رأسك !

- هيا الآن . . أعرف أنك لن تفعلي هذا .

- لا أريد . . ! أبق بعيداً عني !

- آوه . . لأجل السماء دايزي ! لقد وعدتني بهذا بعد الخطوبة .

- لكنني لم أكن أقصد وسط حفلة خطوبتنا . . ولا عنيت في مقعد السيارة كذلك !

- حسناً . . إذا كان هذا ما يقلقك، يمكن أن ننزل إلى الشاطىء . . هناك بعض الصخور والشجيرات بإمكانها أن تخفينا عن . .

صاحت بغضب شرس :

- لا ! ألا تفهم ؟ لا أريد

- بلى . . تريدين . .

وضمها إليه مجدداً .

- دعني وشأني !

حاولت دفعه، لكنه كان أقوى منها ولم تستطع تحريكه . . وأحست بأنفاسه حارة على بشرتها، وعادت يداه مرة أخرى تعبثان بها، وأخذ يهمس محموماً :

- أرجوك دايزي . . أرجوك ! أريدك حبيبتي . . وأحبك . . حقاً أحبك . . ألا تحبيني ؟

- أوه . . براين، تعلم أنني أحبك .

- حسناً . . أثبتي هذا لي .

- لا . . ليس هكذا . . ولا هنا .

- هذه المرة فقط . . وأعدك في المرة القادمة أن نكون في الفراش .

- أوه . . يا إلهي ! أليس لديك أية أحاسيس ؟

لكنه رفض أن يستمع، واستخدم كل قوته ليدفعها إلى الوراء ثانية، يشدها بثيابها . . وبنحيب الفزع والغضب، أدركت أنها لن تستطيع مقاومته، مهما ضربته أو دفعته، وبدأت الدموع تنهمر على وجنتيها وأحست كأن رأسها لم يعد ملكاً لها، وحاولت دفعه ثانية دون جدوى، للحظات ظنت أنها نجحت، لكن لتدرك برعب أنه يحاول خلع ملابسه .

مدت يدها إلى الباب وقد صدمها الرعب، ووجدت المقبض، وكادت تقع من السيارة، وخسرت فردة حذاء لكنها تمكنت من الخروج .

www.elromancia.com

- دايزي ! لا تذهبي ! ماذا تفعلين بحق الجحيم؟

وأمسك بفستانها، محاولاً شدها إلى الخلف . وبجهد فائق، تمكنت من الإفلات منه والتدحرج فوق الأرض، لكن بعد أن تمزق فستانها. وهي لا تزال تشهق خوفاً، ركضت من موقف السيارات نحو ظلمة الشاطىء. وكان عليها أن تقف قليلاً لتخلع الفردة الثانية من الحذاء، ثم انطلقت مبتعدة عن الأنوار إلى نعمة الظلام حيث ستتمكن من الاختفاء بين الشجيرات والصخور التي تمنى عليها مسبقاً أن يختفيا بينها لتحقيق ما يريد .

سمعته ينادي باسمها . . كان لا يزال قرب موقف السيارات. وتساءلت لماذا تأخر في اللحاق بها . . وأحست بدافع مجنون بالانفجار بضحك هستيري بعد أن تذكرت أنه لا بد كان مشغولاً بارتداء ثيابه التي كان يخلعها ساعة هربت منه . بسرعة وضعت يدها إلى فمها . . لكن سرعان ما تلاشى الضحك أما عودة الخوف حين تذكرت أنه من اقترح أن يختبئا هنا. ولا بد أن يكون هنا أول مكان يفتش فيه . . ولا بد أنه سيلمحها دون صعوبة بفستانها الأبيض اللماع . وإذا وجدها هنا في العراء فلا شيء سيمنعه عنها . . ولن يعود للفستان بياضه العذري .

نظرت حولها يائسة . . تفتش في الظلام عن مكان تختبىء فيه . . كان هناك بضع قوارب مضاءة على الرصيف التابع للنادي الذي يُقام فيه الاحتفال، لكن رأسها كان يضج خوفاً حتى أن نظرها خلط بين الأنوار وانعكاس النجوم فوق مياه البحر. ولا بد أن المد عال جداً في مثل هذا الوقت من الليل فقد كانت تسمع الماء يقفز على الصخور . . وراودتها فكرة مجنونة أن تجد لها زورقاً تختبىء فيه . زحفت مقتربة من الرصيف مختبئة خلف ظل الشجيرات المحيطة بحديقة النادي . . دماغها كان خليطاً من الآمال والخوف. وتعثرت مطلقة صرخة ألم حين مزقت

الأشواك ذراعها .

- دايزي ! دايزي . . ! أهذا أنت ؟

أزاحت الأشواك عنها بشكل أخرق، تئن بالألم وهو يخزها . ثم استدارت لتركض في الاتجاه الآخر نحو حافة الرصيف . . وشهقت خوفاً حين سمعت براين يصل الشجيرات الشائكة التي تركتها لتوها، فأحست بالنجوم تستدير في دائرة سريعة حول راسها ، ورمت نفسها إلى الأرض متدحرجة . . ثم حاولت امساك نفسها ورفع جسدها على ذراعيها . . فجأة لم تجد شيئاً تحتها وأكملت دحرجتها نحو الماء .

صرختها كانت دهشة أكثر منها خوفاً . صوت اصطدامها بالماء جلب صيحة رد من براين :

- دايزي؟ أين أنت ؟

شاهقة تبقبق الماء من فمها، صعدت إلى السطح وحاولت التمسك بحبل قريب متدلي .

- برا . . براين . . النجدة!

الماء كانت باردة . . باردة جداً . . وتيار المدّ قوي، أخذ يدفعها إلى الأعلى ثم ينخفض لما بدا لها أمتار كثيرة، وأحست بالتيار يمسك بساقيها، وقد بدأ الماء المثقل به فستانها يساعد على غوصها أكثر .

فجأة كان وجه براين الأبيض فوقها :

- دايزي . . أيتها الحمقاء! لماذا هربت مني؟ خذي . . هذه يدي سأسحبك من الماء .

مدت يدها إلى أقصى ارتفاع تمكنته لكن الرصيف هنا كان مرتفعاً وبقي هناك فجوة تزيد على الثلاثين ستتمتراً بين يديها، فصاح بها نافذ الصبر :

- هيا . . حاولي شد نفسك إلى الأعلى بالحبل الذي تمسكينه .

www.elromancia.com

ـ أنا أحاول . . لكنه منزلق، وفستاني ثقيل بالماء . . أوه يا إلهي، الماء باردة جداً .

استخدمت كلتا يديها تشد لترفع قدمها إلى حافة الرصيف، لكن بدأ يرتخي، ثم سمعت صوت طقطقة أدركت بعدها أن الحبل افلت من مكانه وسقطت ثانية في الماء .

أول رد فعل لها كان أن تصرخ، لكن فمها المفتوح امتلأ بالماء المالح الممزوج بالزيت . . قاومت لتعوم مجدداً، ثم أخذت تسعل وتبصق الماء المالح المليء بطعم الوقود . . خلفها، سمعت براين يصيح باسمها، لكن الظلام كان شديداً ولم تستطع رؤية شيء .

نصف غارقة، ومتمسكة بالحبل، أحست به يلتقط حبلاً آخر ويشد على يدها . بسرعة تركت الحبل المقطوع، وتمسكت بالآخر الذي بدا لها أكثر ثباتاً، ثم شدت نفسها خارج الماء تشهق وتدخل قدر ما استطاعت من هواء إلى رئتيها . . لكن تيار المد كان أقوى منها، يشد بقدميها إلى عرض البحر، محاولاً ابتلاعها . . واستطاعت أن تشاهد جسم مركب فوقها ، وأنوار خفيفة على سطحه . . بضعف، نادت طلباً للمساعدة . لكن لا بد أن من على المركب لم يسمعها . . وأخذت تحس بالألم في ذراعيها، فصاحت ثانية . . صوتها هستيري بالخوف . وخرج القمر للحظات من بين الغيوم . . فشاهدت سلماً مثبتاً عند مؤخرة المركب . لو استطاعت الوصول إليه! بشهقة فزع . . تركت الحبل وأخذت تدفع نفسها نحو السلم .

يدها اليسرى امتدت لكنها انزلقت عن درجة السلم وكاد المد يرميها من جديد بعيداً، لكن يدها اليمنى تمسكت بزاوية المركب المثبت السلم إليها، وبطريقة ما جذبت نفسها لتتمسك بالسلم . . ثم استراحت . . تحاول تهدئة أنفاسها قبل محاولة الصعود .

الأنوار الخضراء والحمراء الخفيفة كانت تسبب ظلالاً مخيفة فوق سطح المركب . . لكنها كانت تعطيها ما يكفي من نور لرؤية الباب الموصل إلى الكابينات تحت . مرتجفة، باردة ، أسنانها تصطك، دقت على الباب، ونادت . . لكن دون رد . . وأدركت أخيراً أن المركب فارغ . فدفعت باب المقصورات ووقفت مذهولة حين انفتح على مصراعيه، ثم دخلت بسرعة، لتجد نفسها في كابينة جلوس واسعة، واضطرت إلى النزول بضع درجات أخرى لتصل إلى مقصورات النوم السفلى . . لم تكن تعرف الكثير عن المراكب، لكنها واثقة أن هناك نوعاً من الحمام قد تجد فيه منشفة لتجفيف نفسها .

حين وجدت الحمام، خلعت الخرق التي بقيت من فستانها، وتركتها مكوّمة على الأرض لتلف منشفة كبيرة حول جسدها وأخذت منشفة أصغر حجماً وبدأت تحك بها أطرافها المتجمدة لتعيد بعض الحياة إليها . . لكن المنشفة علقت بعقدها، وامضت عدة دقائق لتخلصها منه، ثم خلعت سوارها، قرطها، ثم بالطبع خاتم الخطوبة . . ونظرت إليه بامتعاض . . متمنية لو تستطيع أن ترميه الآن في وجه براين! المتوحش! الحيوان! كم تتمنى أن يستمر في التفتيش عنها إلى أن يجن من القلق .

وضعت الحليّ على رفّ فوق المغسلة، ورفعت نظرها لتلمح وجهها في المرآة . . يا الله كم تبدو رهيبة! شعرها الطويل البني يتدلى خصلاً ملتصقة حول كتفيها، وعيناها اللوزيتان حمراوان من أثر الماء المالح، الكحل تحلل من حول عينيها ليرسم ممرات سوداء تحت عينيها، وعلى خدها خدش طويل، لا بد بسبب الأشواك التي علقت فيها .

فجاء بدأت الغرفة تميل فيها، وتمسكت بالمغسلة، وقد ملأ الإحساس بالغثيان حنجرتها . . يا الله كم هي باردة . . ومتعبة! عبر

الدوار الذي تملك رأسها أدركت أنها لن تستطيع البقاء هنا. يجب أن تجد من يساعدها، من يأتي لها بثياب جافة.. وهي لا تزال ملفوفة بالمنشفة أخذت تستكشف بقية كابينات المركب وهي تتمايل.. لتجد أن كابينة واحدة فقط يبدو عليها أنها مسكونة.. كابينة منفردة عند الطرف البعيد من الممر. فيها سرير معلق فوقه كيس نوم، وبعض الكتب على الرف، وثياب رجل في الخزانة الصغيرة.

نظرت دايزي إلى الثياب وإلى كيس النوم.. متسائلة ما تفعل.. رأسها كان ثقيلاً لدرجة لم تستطع إبقاء عينيها مفتوحة.. بأصابع متعثرة وجدت سحّاب الكيس وفتحته. ورمت المنشفة من حولها متسلقة السرير المعلق كما هي، لتندس في دفء الكيس المريح.. وما هي إلاّ لحظات حتى كانت تغط في نوم عميق.

أول إحساس لها حين استفاقت، كان الماً فظيعاً في رأسها.. فتأوهت، لتجد أن فمها وحنجرتها جافان تماماً.. وأن هناك إحساس غريب غير مريح في معدتها.. تأوهت ثانية محاولة الجلوس. ترفرف عينيها في نور المصباح قرب الفراش. الجلوس كان غلطة، فقد أرسل ألماً حاداً مضاعفاً إلى رأسها، وأحست بمعدتها تتقلص أكثر، فاغمضت عينيها ثانية، وعادت إلى الإستلقاء لتحس بالخشب البارد تحت كتفيها العاريتين.

أخيراً بدأ الألم الذي يغزو رأسها يخف، وفتحت عيناً واحدة.. وفي الحال أدركت أنها ليست في شقتها، ولا في شقة أمها ولا في فراشها بل في كابينة فوق سرير خشبي معلق، داخل مركب. فأخذت تحدق حولها بذهول، الجدران من الخشب المصقول اللماع، على الأرض سجادة حمراء كثيفة، وستائر من نفس اللون على النوافذ.. كل شيء من حولها نظيف وجديد.. ببطء جلست محاولة فهم أين هي وكيف وصلت إلى

هنا.. لكن رأسها المسكين كان في حالة متشوشة سببها الألم لم يمكنها من التفكير، فاستسلمت.

أطفأت المصباح في الكابينة، وأحست بالارتياح الفوري.. لكن ما هي إلاّ لحظات حتى اعتادت عيناها على النور من جديد لتدرك أن الكابينة منوّرة بنور النهار المتسلل عبر الستائر. قاومت دوارها ومدت يدها تفتح الستائر.. ليتدفق نور الشمس إلى الداخل.

اتسعت عيناها بالذهول وهي تحاول استيعاب ما تراه خارج النافذة، ثم فركتهما بيديها ظانة أنها تحلم، لكن حين فتحتهما كانت المراكب لا زالت هناك، وجدران الميناء كذلك، وسفن الشحن الضخمة.. ومرّ أمامها الآن مركب كبير، رسمي المظهر وعليه رمز البحرية وكلمة «نيو بورت» بخط عريض.

يا الله! إنها في ميناء «نيو بورت» الميناء الرئيسي للونغ ايلاند..! وحدقت بضع دقائق بذهول خارج النافذة، محاولة أن تتذكر كيف وصلت إلى هنا.. استطاعت تذكر حفلة الخطوبة، وأن والدتها لم تحضرها، وبشكل ضبابي جداً، إنها كانت في سيارة مع براين.. لكن هذا كل شيء..

لعقت شفتيها الجافتين، وعادت إلا الإستلقاء.. متشوقة إلى شربة ماء باردة، حاولت نسيان كل شيء، واندست ثانية داخل كيس النوم. لكن التعب الجسدي جعلها أخيراً تطوح ساقيها إلى الأسفل لتقف، على الفور أخذ كل شيء يتأرجح أمامها فاطرت إلى وضع يديها على الجدار. أحست بمنشفة تحت قدميها، وبشكل آلي التقطتها لتلف نفسها بها. وفتحت الباب لتمد رأسها إلى الخارج.. الممر مهجور، والمركب ساكت. وجدت الحمام بسهولة، والسبب بسيط، لقد تركت بابه

مفتوحاً. ثيابها الممزقة كانت لا تزال على الأرض حيث تركتها، غارقة في البلل. نظرت إلى الثياب برعب وذكرى وجودها في الماء تعاودها.. فارتجفت. ثم هزت رأسها تبحث عن كوب، لكنها لم تجد سوى ابريق من البلاستيك، الماء فيه كانت لذيذة المذاق.. ووجدت في الحمام قطع صابون لم تستخدم بعد.. بكل تأكيد، كائناً من يكون في المركب، لن يمانع لو استحمت. مدت يدها لتأخذ الصابون، لكنها جمدت في منتصف الطريق حين سمعت صوتاً يصيح خارج النافذة.

للحظات بقيت جامدة هكذا، قلبها يخفق بالرعب.. ثم كاد رأسها يصدم السقف حين قفزت لسماعها صوت آخر يصيح فوق رأسها تماماً.. فشهقت وهي تتطلع حولها.. ثم أدركت بارتياح أن الصوتان يأتيان من الخارج.. وأنهما يتكلمان معاً، ولا يصيحان عليها.

حدقت خارج الكوة المستديرة لتجد مركباً بمحرك فيه رجلان يرتديان بذلتين رسميتين توقفا عند المركب ورميا حبلاً إلى شخص لم تكن تراه على سطح المركب.. البذلتان الرسميتان حيّرتاها. وتأرجح المركب قليلاً حين صعد الرجل الآخر إلى المركب ثم تلاشت الأصوات بعد أن ابتعد الرجلان حتى المؤخرة.

لا يمكنها أن تكون هنا! فهناك مسافة ساعات ما بين رود ايلند و «نيو بورت».. لكن هذا مركب كبير، ولا بد أن له محركات قوية تستطيع الانطلاق بسرعة إلى أي مكان.. لكن كل ما استطاع عقلها الآن التفكير به هو أن الرجلين بالبذتين الرسميتين هما من رجال الجمارك ولا بد أن يفتشا المركب ويجداها.

بسرعة أغلقت باب الحمام وأقفلته بالمزلاج، ثم استندت إليه، تنتظر بخوف لحظة يجده أحد مقفلاً ويطالبها بفتحه. لو أنها فقط تسمع ما يقال، لتمكنت من فهم شيء مما يدور حولها.. أعادت لف المنشفة

حولها بإحكام، ثم تسللت على رؤوس أصابع قدمها بصمت فوق سجادة الممر. الباب أمامها كان من الخشب.. لكنه كان بالكاد مفتوحاً. وضعت أولاً عينها على الفتحة، ثم اذنها، ووجدت أنها لن تسمع ولن ترى شيئاً، فدفعت الباب لينفتح أكثر.

أصبحت الأصوات الآن أكثر وضوحاً.. وبدا أن أحد الرجلين الرسميين يسأل أسئلة تقنية، والصوت الأجش الرجولي الذي سمعته فوقها يرد دون تردد..

- هل ستبقى في المينا كثيراً سيدي؟

- لا.. بل ما يكفي لأن أرسو والتقط بعض البضائع المحضرة لي سلفاً على رصيف الميناء.. بعدها سابحر في الحال نحو الشرق.

- وما نوع البضائع؟

- بعض الطعام المعلب والجبن، بعض الأدوات للمركب وقطع الغيار للمحرك.. وكلها مرت على جمارك الميناء، وسمح لي بإخراجها، بانتظار أن التقطها فقط.

- ألن تنزل شيئاً إلى البر.. سيد.. فلينشر؟

- لا.. لا شيء.

- عظيم.. أليس معك أحد؟

- لا.. فأنا ابحر لوحدي.

وقف الرجلان.. فتراجعت راكضة إلى الحمام.. أهم ما فهمته. هو أن مالك المركب، سيبحر في الحال، وأن لا فكرة لديه أنها على متن مركبه.. وربما سيعود من حيث أتي إلى مرساه في رود ايلند حيث صعدت إلى مركبه.

من مركز الشمس في السماء، استطاعت أن تحكم أن الوقت هو منتصف النهار الآن... إذن هناك أمل كبير أن يعودا قبل حلول

الظلام . وبإمكانها الاختباء هنا دون أن يكتشفها أحد . ثم سمعت صوت محرك زورق صغير، أخذ يتلاشى مبتعداً . فاطلقت نفساً عميقاً يقارب التنهيد . . لا بد أن مالك المركب ذاهب الآن لالتقاط بضاعته . . وهذا يعطيها الوقت الكافي لتقرر ما قد تفعل .

صوت مالك المركب بدا لها قاسياً صارماً، ولم تحبه . . بامكانها الآن أن تتصور ما ستلاقيه من توبيخ لو اكتشف أمرها . . لا . . من الأفضل أن تبقى مختبئة إلى أن يعودا، ويغادر مركبه . . أما كيف ستغادر هي المركب، فهذا لم يزعجها . . بإمكانها أن تنادي على مركب آخر، أو شخص آخر ليساعدها . . ومن الحكمة أن لا تعود إلى الكابينة التي كانت فيها، بل الأفضل أن تختبىء في كابينة فارغة . . وأحست بالدهشة لأنه لم يستخدم الحمام بعد، وبالتالي لم يكتشف وجود ثيابها هناك .

حين دخلت الكابينة الفارغة، وجدتها فعلاً فارغة . . المقاعد المعلقة، التي تلعب دور الفراش أيضاً، كانت خالية من أي شيء تستطيع استخدامه لتغطية نفسها ، ولا يمكنها البقاء هكذا عارية . تأوهت، ثم عادت إلى الكابينة الأولى، حيث فتشت من جديد في الخزانة . . هناك ثياب سهرة رسمية، عدة قمصان . . لا شيء يمكن أن ترتديه . اللعنة على هذا الرجل ! . . ألا يرتدي بيجاما ؟

وقفت عن المقعد المعلق، فاصدر صوت صرير، فجأة تذكرت أن لا بد أن يكون تحته نوع من الخزائن، فرفعته إلى الأعلى لترى أنه يستند إلى عارضة خشبية، لها مقبض رفعته لتنفتح عن فتحة وجدت فيها كيس نوم إضافي، لا يزال جديداً في لفافة الشراء، فاخذته مبتهجة ورتبت الكابينة قدر الإمكان وعادت إلى الكابينة التي اختارتها . بحذر أترجت الباب . . ثم فتحت الكيس، ومدته على المقعد المعلق وتسلقت

لتستلقي فوقه بامتنان . وهي تستلقي سمعت صوت محرك يقترب ثانية من المركب، فرفعت طرف الستارة عن الكوة، لتنظر إلى الخارج . . لقد عاد مالك المركب ببضاعته . . وهو يفرغ الحمولة، شاهدت دايزي وجهه لأول مرة . . إنه أصغر سناً مما توقعت، في حوالي الثلاثين . له شعر أسود طويل تلاعب به الهواء، لكنها كانت محقة في مسألة صرامته، فقد كان على وجهه نظرة قاسية ، وله عينان رماديتان باردتان . سرعان ما تغلب الم رأسها على نزعتها الفضولية، فاغمضت عينيها ونامت .

إحساس متأرجح ، مخيف أيقظها . . فشهقت وسعلت . . مما دفع بشعور الغثيان فجأة إلى حنجرتها، فوضعت يدها إلى فمها محاولة يائسة أن لا تستفرغ . . ورمت نفسها عن السرير الخشبي متعثرة نحو الباب، بالكاد تعي أن الظلام شديد حولها الآن . . وفتحت رتاج الباب وركضت نحو الحمام قبل أن تفقد السيطرة على إحساس الغثيان . . ركعت أمام كرسي الحمام تهتز بقوة ومعدتها تتقلص وترمي ما بداخلها، عندها فقط أحست أن المركب تتحرك . . باحساس كئيب، وبؤس كامل، رفعت نفسها غسلت فمها، وتذكرت أن تصب الماء في الحمام قبل أن تخرج إلى كابينتها وتنهار فوق المقعد السرير ثانية متمنية لو تموت .

فجأة أضيء مصباح الكابينة، وقف رجل طويل ينظر إليها من فوق :

ـ يا إلهي !

لكنها كانت مريضة أكثر مما يمكن لها أن تهتم برأيه فيها . . ففتحت عينيها تنظر إليه . . صوتها مخنوق متقطع وهي تقول :

ـ هل . . عدنا إلى رود ايلند بعد ؟

بدا عليه ذهول أكبر .

- ردو أيلاند؟

وازداد تجهم صوته .

- لا . . نحن لا نقترب من رود ايلند . . بل في عرض المحيط الأطلسي . . باتجاه أوروبا .

٢٠

من أنت؟

تأوهت دايزي بشكل يثير الإشفاق . . تحس بالسقام أكثر مما تستطيع أن تفهم ما تعني كلماته . . كل ما تعيه أن هذا المركب اللعين سيستمر بالتأرجح والصعود والهبوط إلى ما لا نهاية .

لكن المالك بدا منيعاً لا يتأثر بحالتها المزرية المؤلمة . فقد تلاشت نظرة التسلية عن وجهه ليحل محلها الغضب :

- منذ متى وأنت هنا؟ وكيف صعدت إلى المركب؟ ومتى صعدت ؟

حاولت الرد :

- ليلة . . ليلة . . أوه أمس . . إني سأتقيأ .

ووضعت يدها على فمها، فقال ببرود قارس :

- حسناً، لا تفعلي هذا هنا . . اذهبي إلى الحمام .

مد يده ليخلع عنها كيس الحمام، ويمسك بذراعها، ودون لطف ينوي سحبها لتقف . . لكنه ساعتها، أجفل، واتسعت عيناه لرؤية عريها . . للمرة الثانية صاح !

- يا إلهي !

تمسكت دايزي بحافة السرير بعد أن تحرك المركب بعنف أكبر

www.elromancia.com

فقال :

ـ تمالكي نفسك قليلاً !

واختفى ليعود بعد لحظات وفي يده روب حمام أزرق اللون .

ـ خذي . . ضعي هذا على جسدك .

حاولت هذا وهي تضع يدها على فمها، لكن الرجل صاح نافذ الصبر، ثم وجدت نفسها محمولة عن السرير، والتف الروب حولها ، وحملها إلى الحمام ليضعها على الأرض قرب كرسي الحمام . من فوقها سمعته يتمتم حانقاً «اللعنة على هذه العاصفة» .

واستمر المركب في تأرجحه لساعات، إلى أعلى وأسفل، ثم إلى الجانبين . . أكثر من مرة اضطرت دايزي أن تركض مرة أخرى نحو الحمام إلى أن لم يعد في معدتها شيء . . وهذا أسوأ من القيء نفسه . . ووقعت من الإعياء لتصطدم مؤخرتها بحافة الباب لكنها كانت مريضة لدرجة لم تلحظ من ألمها شيئاً .

نعمة إدراكها أن المركب قد استقر نسبياً، ويتحرك بنعومة مع الأمواج، كان أول شيء سجله عقلها ومعدتها حين استفاقت بعد ساعات . فجلست مترددة، تنتظر أن تضطر للإسراع للحمام مرة أخرى، لكن معدتها لم تعط أي دليل على أي قيء . . وكان النهار قد طلع ثانية حين فتحت الستارة عن الكوة .

اسندت ظهرها إلى الجدار الخشبي، ثم نظرت إلى روب الحمام محاولة تذكر ما حدث . . . وبدا أن دوارها قد انتهى مع إحساسها بالغثيان، ولم يعد رأسها يؤلمها . واستطاعت أن تذكر خصامها مع براين بوضوح، ثم وقوعها عن الرصيف . وتساءلت كم أمضى يبحث عنها قبل إن يستسلم . . هكذا أفضل له . . فليتعلم درسه . وتذكرت كيف هاجمها وحاول اغتصابها . . مع أن ذلك، كما تعلم، لا يبدو مستغرباً،

خاصة بعد إعلان خطوبتهما رسمياً، ولكنه، بدا لها بطريقة ما . . غير لائق ويتناقى مع التربية التي تلقتها في المدرسة الداخلية . . ففي السنة التي مرت عليها منذ تركت المدرسة، كانت طوال الوقت تقاوم الشبان الذين يحاولون مغازلتها، وبما أن معظمهم كان لا يزال صغيراً على أن يكون له منزل خاص به، فإن هذا كان يحدث عادة في مقعد سيارة، أو تجاه جدار في زاوية مظلمة أو في حقل منعزل، والأكثر خطراً، فوق أريكة غرفة جلوس بعد نوم الأهل . . خروجها المنتظم مع براين، كانت تكتنفه نفس المشاكل، لكنه كان أسهل في التعامل معه، كانت دائماً تمنعه بأن تقدم إليه الوعود للمستقبل، وعود لم يألو جهداً في إجبارها على الوفاء بها .

وهي تجلس على المقعد السرير، حاولت تذكر كم مضى عليها وهي في المركب . . وكم ستستغرق من وقت عودتها إلى رود أيلند . . واضح أنها في اليوم الثاني الآن . لكن دون فكرة كم بقي من وقت للوصول . ولا بد أن اختفائها قد أثار الاضطراب الآن . . حتى يمكن أن يكونوا قد أرسلوا بطلب والدها . . صحيح أنه يحبها، وأنها زارته أكثر من مرة خلال زواجه مرتين بعد أمها . إلاّ أن أمها كانت تفهمها دائماً أنه لا يريدها معه :

امتلأ قلبها بمرارة كبيرة على إهمالها لها . . إنها بحاجة إلى الحب الذي لم يوفراه لها أبداً . . وقد يكون من الأفضل لها لو لم تعود إطلاقاً . أو على الأقل ما يكفي من وقت ليشعرا بالأسف لمعاملتها السيئة لها .

أعجبتها الفكرة . لِمَ لا؟ ما الذي قاله الرجل ؟ أنهما متجهان إلى أوروبا؟ لو أقنعته بأخذها معه بدلاً من إعادتها إلى رود ايلند . . لا . . فذكرى ليلة العاصفة لا زالت تهزها . . وعارضت نفسها الفكرة . لكن مقاومة الشباب دفعت بكل الذكرى السيئة جانباً، وتملكتها قناعة أنها

لن تحدث ثانية . والمشكلة الكبرى ستكون بكل تأكيد أن تقنعه أن لا يعيدها . . لكن ماذا لو ذاعت أخبار اختفائها ؟ هل يبدأ بالاحتساب ، ويعيدها ؟

وصلت إلى هذه المرحلة من التفكير حين انتزعت أفكارها بدقة خفيفة على الباب ثم انفتح فوراً ودخل الرجل . .

ـ إذن لقد استيقظت ؟ كيف تشعرين ؟

ـ أفضل بكثير . . شكراً لك .

ـ هل أنت جائعة ؟

ـ أجل .

ـ إذن انهضي وحضري لنفسك شيئاً . وهناك طعام كثير في المطبخ .

ـ لكن ليس معي ثياب !

رد دون تعاطف :

ـ إذن عليك التصرف كما أنت .

ـ لكن . . لكن أرجوك . . ألا يمكنك أن تحضّر لي شيئاً ؟

نظر إليها وقال بصوت قارص :

ـ إذا أردت أن تأكلي ، فعليك أن تحضّري طعامك بنفسك . . فأنا لن أقوم بدور الخادم لمتسللة هاربة . وأسرعي في طعامك ، أمامك الكثير لتفسريه لي .

توجه نحو الباب ثم استدار :

ـ واغسلي وجهك مظهرك مريع .

غسل وجهها أمر سهل . . كذلك ارتداء ثيابها التحتية التي جفت ، لكن شعرها بدا مشعثاً ملتصقاً لا تدري ما تفعل به . . إلى أن وجدت حقيبة جلدية صغيرة في خزانة الحمام ، ووجدت فيها كل أدوات الزينة . ولم تجد غضاضة في استخدام الفرشاة والمشط . . فالرجل طلب منها

ترتيب نفسها وستفعل .

ماذا دعاه موظف الجمارك؟ أجل . . فليتشر . إنه الآن يضع القهوة ، فقد وصلت رائحتها إليها . . لم تشعر بالجوع هكذا طوال حياتها ، وتطلع إليها حين وصلت وقد اتسعت عيناه دهشة .

ـ ما هذا التغيير! تبدين أصغر بعشر سنوات . . كم عمرك على أي حال؟

ـ أنا التا . . في الرابعة والعشرين .

على الطاولة وجدت رغيف خبز طويل ، ناقص . . فسال لعابها وأشارت نحوه .

ـ أتسمح ؟

ـ تفضلي . .

صب كوبين من القهوة وحملها إلى طاولة قريبة . . ثم أخذ يراقبها وهي تقطع قطعة كبيرة من الخبز وتضع الزبدة والجبن فيها ، ثم جلست في مواجهته . . لكن جوعها الشديد دفعها لتجاهله إلى أن أكلت السندويش وشربت القهوة ، ثم اسندت ظهرها إلى الوراء تلعق شفتيها ، لتجد أن عيناه الرماديتان القاتمتان تراقبانها بتسلية .

ـ أتشعرين أفضل حالاً الآن ؟

ـ أجل . . شكراً لك .

ـ جيد . . الآن لديك بعض الإيضاحات تقدمينها : كيف وصلت إلى مركبي ؟ وماذا تنوين أن تفعلي الآن سيدتي الشابة ؟

ـ أنا . . صعدت في «نيو بورت» لونغ ايلند .

وتمنت لو أن لديها المزيد من الوقت لتخترع له قصة . . سبب ما لصعودها إلى مركبه في وضح النهار ، يمكن له أن يصدقها .

ـ كنت في حفلة . . في مركب آخر . . أنت تفهم؟ ووقعت في . .

www.elromancia.com

البحر وحملني المد إلى مركبك . ناديت فلم يرد عليّ أحد . . وهكذا . .

- لحظة من فضلك . . هذه الحفلة . . متى كانت؟

فركت جبينها بحيرة . .

- منذ يومين . . واستمرت طوال الليل واليوم الذي يلي . وكان الوقت نهاراً حين وقعت في البحر .

- ما أسم المركب ؟

- لست أدري . . ذهبت إلى الحفلة مع أشخاص آخرين .

هز رأسه متقبلاً هذا، فتنهدت سرّاً، ثم سأل :

- وكيف وقعتي؟

- كنت . . كيف تقول . . دائخة قليلاً . . و . .

- ولا شيء غيره؟

- بل دائخة فقط وتمسكت بحبل انقطع بي . .

- ولم يسمعك أحد ليساعدك ؟

- لا . . لا أحد . وكنت خائفة، اعتقدت أنني ساغرق . ثم اقتربت من مركبك وأمسكت حبله لأصعد أليه .

وابتسمت له، تتمتع بكذبتها المحكمة الآن :

- كنت محظوظة جداً . . أليس كذلك !

رد ساخراً :

- بلى . . محظوظة جداً . . واعتقد أن أصدقائك الآن لا بد قدموا شكوى باختفاءك ؟

- أوه . . لا . . لم أكن أعرف أحداً هناك في الواقع . كانت حفلة مفتوحة . . يمكن لأي كان أن يحضرها . . ولن يفتقدني أحد .

ضاقت عيناه :

- فهمت . . والأمر غريب . . لم أسمع صوت حفلة على أي مركب

يرسو بقرب مركبي .

- لم تكن الأصوات مرتفعة في الصباح . . والمركب كانت بعيدة عنك .

- حقاً؟ أنت محظوظة فعلاً إذن . ما من أحد في المركب شاهدك تقعين، وما من أحد شاهدك تصعدين إلى هنا . . حتى مع كل الملاحة الدائرة في ميناء نيو بورت . لم يشاهدك أحد في الماء . . . كنت محظوظة جداً إن لم تغرقي .

- هذا صحيح سيدي .

- وما أسمك ؟

- دا . . ديزيريه .

أمسك يدها، فحاولت جاهدة أن لا ترتجف . .

- ديزيريه ماذا ؟

- ديزيريه . . براون .

اشتدت قبضته على معصمها بقوة :

- هذه قصة مسلية، آنسة . . لكن علينا الآن قول الحقيقه .

- قلت لك الحقيقة! كل كلمة كانت . . أوه! سيدي أنت تؤلمني . . لا تفعل . . ! توقف عن هذا!

لكنه لم يهتم بها بل أخذ يلوي ذراعها بوحشية :

- توقف . . أنت تؤلمني! اتركني!

فجأة تركها، والتوى فمه بالسخرية، فوقفت تفرك معصمها المتألم :

- أيها الوحش! كيف تجرؤ على إيلامي هكذا ؟ . . لمجرد أنني ركبت مركبك القذر . . أوه !

- أصمتي . . والآن بعد أن انتهينا من الإدعاءات الزائفة نستطيع سماع القصة الحقيقية .

www.elromancia.com

جلست ثانية متمهلة . . تنظر إليه بكراهية :

ـ وكيف عرفت ؟

ـ لقد تكلمت إلى ليلة مرضك . ومع أنها كلمات قليلة إلاّ أنها كانت صادقة وذكرت العودة إلى رود ايلند .

ـ أوه . . .

ـ أنا منتظر .

ـ حسناً . . ما قلته لك ، جزء كبير منه صحيح . . كنت فعلاً في حفلة . . أمضيت نهاية الأسبوع فيها . . كنت مع رجل . . وكنت سأمضي الليل معه . . لكن حسناً . . كان عنيفاً معي وعدواني . فغيرت رأيي . . وتخاصمنا حين رفضت النوم معه ، فطردني من غرفة الفندق كي لا أستطيع الحصول على ثيابي . فنمت على كرسي في الممر طوال الليل ، حتى الصباح مع ذلك لم يفتح لي حين قرعت الباب ثانية . . ثم أصبح الأمر محرجاً . كان الناس يحدقون بي . . فسرت إلى المرفأ . . وفكرت أن أحصل على مركب يوصلني إلى رود ايلند . . لكن لم يكن معي مال ولا أي شيء . . ثم التقيت صبياً قال لي أنه يعرف الكثير من المراكب تأتي غالباً من رود ايلند وتعود ، وأوصلني إلى هنا لأتسلل إلى المركب .

ـ وهل شاهدتني أغادر المركب ؟

هزت رأسها ، فقال :

ـ إذن ، تسللت كي تعودي إلى رود ايلند؟ .

ـ أجل . . وأنا آسفة .

ـ آسفة؟ وتتوقعي أن أقبل اعتذارك واديـر دفة المركب لاعيدك إلى بلدتك؟ حسناً . . الأمر ليس بهذه البساطة . . فقد غادرت ميناء نيو بورت على عجل من أمري لأحافظ على موعد هام في اسبانيا . . كنت

أحاول إيجاد بديل عن البحار في الميناء ، لأنه مريض . لكنني اضطررت للابحار لوحدي . . وبعودتي لايصالك سأخسر يومين من وقتي وربما ثلاثة .

أدركت أنه بهذا يعطيها الفرصة :

ـ لست بحاجة للعودة . . بسببي .

ـ وما الذي يفترض أن يعنيه هذا ؟

ـ أعني أن وقتي ملك لي . . ولن أمانع في السفر معك إلى أوروبا . . وأنت تقول أنك بحاجة إلى من يساعدك في الإبحار . . فلماذا لا آخذ مكان بحّار؟

ضاقت عيناه . . ونظر إليها متفحصاً :

ـ هل أنت جادة ؟

ـ أجل . . ولمَ لا ؟

ـ أتعرفين شيئاً عن الإبحار؟

ـ بالطبع . . ركبت مراكباً من قبل .

ـ صحيح . . ؟ إذن تعرفين معنى «الرفاص»؟

ما هذا السؤال السخيف ؟

ـ طبعاً . . إنه قطعة معدن ملفوفة .

ـ والطوق؟

ـ إنه قطعة خشب ملتوية . . أليس كذلك ؟

ـ حسناً . . كلانا يعرف الآن أنك لا تعرفين شيئاً عن المراكب ، «فالطوق» هو ما يعني الحبل الملفوف . . و «الرفاص» هو حين نربط «الطوق» من المركب إلى مركب آخر لمنع اصطدامهما . أنت لن تنفعي بشيء كبحار . . وسأفيد نفسي حين أعيدك إلى أقرب أرض يابسة .

ـ أوه . . أرجوك لا . . أعرف أنني أستطيع المساعدة . حقاً

www.elromancia.com

أستطيع . . استطيع مسح الأرض .

التوى فمه ساخراً :

ـ أيمكنك الطبخ؟

ـ أوه . . أجل .

ـ وهذا لا بد يعني أنك كاذبة، ولا يمكنك سلق بيضة . . وماذا عن عائلتك . . أليس لهم قول في مسألة سفرك إلى أوروبا؟

ردت بقناعة مريرة :

ليست لدي عائلة . . ليس من قريب يهتم لو غبت لفترة .

. . هل أنت هاربة من شيء أو من شخص ؟

اتسعت عيناها دهشة، وهزت رأسها :

ـ لا . .

كرر متجهماً :

ـ واثقة ؟

ارتفع رأسها :

ـ واثقة تماماً .

ـ وماذا عن جواز سفرك . . هل لا زال مع . . صديقك ؟

للحظات تشوشت، ثم تذكرت ما قالته له كذباً :

ـ ماذا؟ أوه . . أجل . . لكن ما من مشكلة . . استطيع إرسال برقية من حيث سنصل أطالبه بإرساله لي .

ـ وهل لديك عنوانه؟

ـ أجـل .

عبس بشدة، وسحب نفساً من سيكارته :

ـ هل تقولين الحقيقة ؟

ـ أجل . . بالطبع .

ـ لـو لم أكن مستعجـلاً . . فلن أتـردد في أن أعيـدك واسلمـك للسلطات، لكن . . ليس لديّ وقت بالفعل . . وقد تتمكنين من توفير بعض الراحة لي .

أطفأ سيجارته، وقد اتخذ قراره . . ثم وقف وقال :

ـ حسناً . . سآخذك معي . . بإمكانك الإتصال . . بصديقك . . لطلب جواز سفرك عبر الراديو في المركب . . ما هو اسمك الحقيقي؟ فأنا لم أسمع بشيء أكثر زيفاً من ديزيريه براون . . فما هو اسمك فعلاً ؟

نظرت إليه بانزعاج :

ـ اسمي دايزي . . جاين دايزي .

ـ الآن أصـدق . . حسناً جـاين دايـزي أهـلا بـك عـلى متن «الأونديت» . . بإمكانك بدء عملك بتنظيف المكان .

اتجه ليصعد إلى السطح فاستوقفته :

ـ انتظر! لم تقل لي بعد ما اسمك؟

وقف لينظر إليها :

ـ صحيح . . لم أفعل . . اسمي لاوسون فليتشر .

للحظات التقت عيونهما وتشابكتا . . ثم أطرقت . . فاستدار ليصعد السلم . .

www.elromancia.com

٣٠

طريقة أخرى للدفع

لفترة ما كانت دايزي خائفة من معاودة الدوار حين يتحرك المركب من جديد . . لكنه أبحر بهدوء ونعومة فوق صفحة المحيط ، بالكاد يهتز أو يتمايل . . وأدركت أن العاصفة وحدها التي جعلته غير مستقر في اليوم السابق .

بدا لها المركب، إضافة إلى كل ما فيه من طعام وشراب مكدسين، وكأنه جديد . . فهل تكون هذه باكورة رحلات لأدسون فليتشر يا ترى ؟

حين أنهت تنظيف المطبخ الصغير وكابينة الجلوس ومقصورات النوم، وقفت حائرة ما تفعل بعد . . ثم اتجهت إلى السلم لتصعد إلى الصالون الواسع، ثم عبر بابه إلى السطح . . أمر غريب . . لا بد أنها دخلت من هنا ساعة ركبت المركب بقصد الاختباء في تلك الليلة المشؤومة . . مع ذلك فهي لا تذكر شيئاً .

حال أن أصبحت على السطح تلاعب الهواء بشعرها ليلتف حول وجهها، وفي نفس الوقت نفخ بأسفل الروب ليرفع أطرافه إلى فوق كاشفاً عن ساقيها . . بيد ارجعت الشعر عن وجهها، وأنزلت الروب

بالأخرى، ونظرت حولها لتجد فليتشر . . لكنها لم تجده، ثم لاحظت سلماً بأربع درجات يتجه إلى الأعلى على فوق سطح الصالون . فتمسكت بحاجز السلم الحديدي وصعدت . . كان لاوسون فليتشر يجلس في مقعد دوار، أمام لوحة قيادة ومقود بين يديه يدير المركب عبر البحر المفتوح . الهواء هنا أقوى منه في الأسفل، فوجدت صعوبة في إمساك فتحة الروب، وإبقاء شعرها بعيداً عن عينيها في نفس الوقت . بدأت تتقدم الخطوات القصيرة نحوه، في هذه اللحظة بالذات صدم المركب موجة ضخمة ومال إلى جانب واحد، حتى اضطرت دايزي إلى التمسك بأنابيب السياج، فانفتح الروب وانتفخ إلى ما فوق خصرها . بغضب شدّت الروب ثانية إلى الأسفل وقالت ببرود :

ـ أحتاج بعض الثياب .

فضحك :

ـ هذا ما أراه . . حسناً . . لنرى إذا كان بالإمكان أن أجد لك شيئاً .

فعل شيئاً في لوحة القيادة، وترك المقود ثم وقف .

فقالت دايزي بقلق :

ـ وماذا عن المركب؟ ألن يستدير في اتجاه خاطىء حين لا يكون أحد يقوده ؟

نظر إليها ساخراً :

ـ له قيادة آلية . . وإلا فكيف تتوقعي أن أتمكن من قطع المحيط فيه لوحدي؟ على الأقل عليّ النوم قليلاً .

ـ لست أدري . . لم أفكر بهذا .

نظرة السخرية أفسحت الطريق لاخرى مزدرية . . لكنه لم يقل شيئاً، بل نزل السلم أمامها واتجه إلى مقدمة المركب حيث المقصورة التي

www.elromancia.com

أمضت أول ليلة لها فيها. على الأرض وجدت جراب بحارة كبير التقطه ووضعه على السرير المعلق حيث بدأ يفتش فيه .

ـ خذي . . جربي هذا .

أخرج كنزة كحلية، وتي شيرت أبيض، ثم بنطلون جينز . . فوضعت دايزي الجينز أمام جسمها لتجده أطول منها بشبر على الأقل وخصره أوسع من خصرها بعدة سنتمترات .

سأحتاج إلى حزام .

مد يده ثانية يفتش في الجراب، ثم أخرج حزاماً جلدياً بنيّ اللون .

ـ وهذا كبير جداً عليك كذلك . . ضعيه حول خصرك لآخذ القياس واثقبه لك .

أخرج قلماً من جيبه، ووضع إشارة حيث شدت الحزام على خصرها . . أصبح بهذا قريباً منها، يضع يده على خصرها دون قصد . . فالتقط أنفها رائحة عطر ما بعد الحلاقة الخشبي ممزوجاً برائحة ملح البحر التي التقطتها كنزته . . بدا لها ضخماً جداً وهو قريب منها . . يزيد عن المئة وخمسة وثمانين سنتمتراً بالطول . . على الأقل . . كتفاه عريضان مليئان بالعضلات المنتفخة . . كان قاسياً واثق من نفسه لدرجة الاكتمال . . ولأول مرة خطر ببالها أنها وضعت نفسها بين يدي رجل غريب . . مدركة أن فكرة تعليم أهلها درساً قد استحوذت عليها، حتى أنها نظرت إلى لاوسون فليتشر كمجرد وسيلة لغاية محددة . . وليس كشخص أبداً .

حين تحركت، اشتدت يده على خصرها وقال آمراً :

ـ اجمدي دون حراك! . . هاك . . هذا سيكون القياس المطلوب .

أخرج من جيبه سكيناً، من النوع الذي يحتوي على ما لا يقل عن عشر أصابع مختلفة الاستعمالات، وفتح عدة ثقوب في الحزام الجلدي .

ـ جربيه الآن .

أثبتت الحزام حول خصرها .

ـ عظيم . . شكراً لك .

وحاولت الابتعاد، لكنه أوقفها :

ـ ساقطع ما يزيد منه . . لا . . لا تخلعيه .

أخذ يشدّ بسكينه يقطع الجلد ورأسه محني يقارب رأسها، فحركته بعيداً، فرفع رأسه إليها بسرعة . . فابتسمت له بقلق، ليكمل عمله .

وحملت الثياب :

ـ سأذهب لارتديها .

دون أن تنظر إليه، دخلت المقصورة التي اختارتها وأقفلت المزلاج من الداخل . . ليس لأنها لا تثق به، بل لأنها أصبحت تحس به كفرد من الجنس الآخر، وبطريقة ما، إقفال الباب يشعرها بالأمان .

كانت الثياب بالتأكيد كبيرة جداً، وبدت عليها كأكياس الخيش . لكن التي شيرت لم يكن سيئاً بعد أن وضعته تحت الجينز وشدت الحزام عليه . لكن سيقان الجينز كانت طويلة جداً حتى اضطرت إلى رفعها بعدة لفافات إلى فوق قبل أن تبرز قدماها من تحتها . . وبدا منظرها رهيباً! حسناً . . يجب أن تتدبر أمرها بهذه الثياب على أي حال .

صعدت إلى الصلون لتجلس فترة طويلة تتطلع إلى الفسحة التي لا حدود لها للمحيط . . ثم ضجرت فعادت إلى الأسفل . . فتحت باباً لم تكن قد فتحته بعد لتجد أنه مقصورة نوم أخرى . . مزدوجة الحجم فيها سرير مزدوج مستدير الزوايا . فيها كذلك أريكة مثبتة تحت النافذة، إضافة إلى طاولة زينة ، وخزانتين . . . لكن ما جعل حاجباها يرتفعان معاً هو الحمام الصغير الرائع المتصل بها . . كل شيء هنا فخم . . مصمم ومصنوع بشكل جميل . . بعناية واضحة واهتمام، مع مراعاة أدق

التفاصيل ليكون مكتملاً .

متوترة عادت إلى مقصورتها . . لكن لا شيء هناك يشغل اهتمامها، فعادت إلى الشعور بالضجر . . ثم تذكرت بضع كتب شاهدتها على رف في مقصورة فلتشر . . ربما تستطيع أن تجد بينها ما يثير اهتمامها .

لكنها لم تجد بين الكتب ما يثير اهتمامها . . على وشك الخروج مجدداً، انفتح الباب وظهر صاحب المقصورة أمامها :

ـ ماذا تفعلين هنا ؟

ـ ردت بارتباك :

ـ أنا . . أنا . . كنت أفتش عن كتاب .

ـ كتاب ؟ ماذا تظنين هذا . . ؟ رحلة استجمام؟ قلت لك أن تنظفي المكان .

ـ لكنني نظفت المطبخ وغرفة الجلوس .

ـ وماذا عن بقية المركب؟ قبلت بك معي على أنك بحارة، اتذكرين؟ وما من طريقة ستسمح لك أن تجلسي لتقرأي وهناك عمل بالانتظار .

ـ حسناً . . فهمت الرسالة . . لو تقول لي فقط ما تريدني أن أفعل .

ـ انظري حولك . . افتحي عينيك . الحمام في فوضى . . هناك عدة صناديق في المطبخ لم تفرغ بعد؟ والأرض هناك بحاجة إلى تنظيف . . مقصورتك بحاجة إلى تهوئة . . وطالما أنت في مقصورتي يمكنك إخراج ما في الجراب من ثياب وتوضيبها في الخزانة . وحين تنتهي من هذا . . ابدأي بتحضير الطعام . .

حدقت به مذهولة . . ثم ردت بوقاحة :

ـ حاضر يا قبطان . . أي شيء تأمر به يا قبطان !

ضاقت عيناه بغضب خطير، وقال لها ببرود :

ـ احذري . .

فجأة تلاشى غضبها وأحست بالخوف :

ـ أنا . . آسفة . . لم أكن أعرف ما تريدني أن أفعل .

هز رأسه :

ـ حسناً . . لكن تذكري . . أنت لست مسافرة على متن المركب . . وستعملين لقاء وجودك هنا . . بطريقة أو أخرى .

أخفضت رأسها ولم ترفعه حتى ذهب . . باضطراب وجدت نفسها ترتجف . . يا للرجل الفظيع ! كيف يجرؤ على الصراخ في وجهها هكذا ؟

بعد نصف ساعة، كانت تركع على ركبتيها في المطبخ، وقطعة قماش في يدها تمسح الأرض بشدة . . ما هي إلا لحظات حتى أجفلت لدرجة كاد قلبها ليتوقف حين سمعت صوت لاوسون يصيح بها من مكان لا تعرفه .

ـ دايز . . ؟ هل أنت هنا ؟

من أين يأتي صوته؟ وقفت، تنظر حولها بجنون ثم عاد صوته فاقد الصبر هذه المرة :

ـ هناك جهاز اتصال على الجدار . اضغطي الزر المكتوب عليه «تكلم» وابقيه مضغوطاً وأنت تتكلمي .

فتشت بسرعة حولها . . ثم لمحت كلمة «تكلم» على زر من مجموعة مثبتة تحت ما بدا لها مذياع صغير في أعلى الجدار إلى جانب البراد . فضغطته بسرعة :

ـ نعم . . أنا هنا .

ساد صمت قصير، أدركت بعده أنها لا زالت تضغط الزر . . فرفعته لتسمع آخر كلمة يقولها . . فعادت تضغط الزر مجدا .

www.elromancia.com

ـ أخشى أنني لم أسمع ما قلته جيداً.

وتذكرت هذه المرة أن ترفع اصبعها عن الزر، فسمعته بوضوح يقول :

ـ قلت أنني ساجري اتصالاً بالراديو بعد عشر دقائق . . اصعدي إلى غرفة القيادة، لتعطيني اسم وعنوان صديقك، كي يرسل لك الجواز .

ردت عليه :

ـ وأين هي غرفة القيادة ؟

ـ إنها فوق رأسك، مقابل الغرفة التي وجدتني فيها وراء الدفة، تصلين إليها عبر بوابة منزلقة في ميمنة المركب . . ماذا جرى بالطعام ؟

ـ أوه ! . . أوه . . جيد .

ـ حسناً . . ستتناوله حال انهاء الاتصال .

ـ حاضر .

بسرعة فتحت الخزانة لتخرج بعض علب الطعام . . بطاطس، لوبياء، جزر . . أجل هذا يكفي . . في الثلاجة وجدت بضع قطع من اللحم . . ثم جاء الجزء الصعب . . ليس لديها ما تشعل به غاز الطبّاخ . . بقدرما فتشت . . لم تجد ثقاباً . لكن لا بد من وجودها، وإلاّ فكيف ستشعل النار؟ خطرت لها فكرة فجربت فتح أحد المفاتيح ، لتسمع تكة حادة منخفضة واشتعلت النار فوراً . فتأوهت منزعجة لجهلها . . ثم وضعت اللحم في القدر فوق النار التي رفعت لهيبها كي ينضج اللحم بسرعة . . . بعد عدة دقائق، والكثير من السباب ، تمكنت من فتح علب الطعام بما يكفي لتصب محتوياتها في قصعة طبخ اخرى وخلطتها معاً . . فعلى أي حال، كلها ستتجه إلى المعدة من نفس المكان . . أليس كذلك ؟

بالكاد كانت قد انتهت حين سمعت صوت لاوسون مجدداً :

ـ قلت لك عشر دقائق، فلماذا تأخرتي ؟

اللعنة عليه . . لماذا نافذ الصبر هكذا ؟ تركت الطعام فوق النار وركضت إلى الأعلى . . والآن . . أيها ميمنة المركب؟ لكنها سرعان ما شاهدت رأس لاوسون من النافذة ففتحت الباب لتجد غرفة مشابهة للتي شاهدته فيها فوق الصالون لكن بمعدات ومقابض ولوحات أكثر بكثير . . كلها لم تفهم منها شيئاً . دون أن يلتفت إليها سمعته يتحدث عبر جهاز إرسال حديث :

ـ هذه الأوندين تنادي فليتشر رقم واحد . . هل تسمعني؟ انتهى .

صدر عن الجهاز تكتكات متواصلة، فحرك لاوسون الإبرة. ثم سمع صوتاً يرد :

ـ هذا فليتشر واحد . . إلى أوندين . . أتلقاك بوضوح . . كيف الحال . . ! انتهى ..

ـ بخير حتى الآن . مرت بي عاصفة ليلة أمس، لكن الطقس الآن كالحلم .

لبضعة دقائق اعطى بعض المعلومات التقنية بما فيها مكان وجودهم الحالي، ثم أضاف :

ـ على فكرة . . معي بحّار، أخذته في آخر لحظة ، يحتاج إلى إرسال جواز سفره إليه . اريدكم الاتصال بالعنوان الذي سأعطيكم إياه وطلب إرسال الجواز فوراً . بالبريد الطائر . . إلى ج . دايزي . . اكرر : ج . دايزي . . فليرسلوه إلى مكتب البريد الرئيسي في «آريسيف» جزر الكناري . . اسبانيا . . قولوا لهم أن يرسلوا المغلف باسمي لاستلمه بنفسي . . أفهمت . .

انتظر التأكيد ثم أكمل :

- حسناً . . العنوان هو :

والتفت إلى دايزي لتعطيه اسماً وعنواناً خياليان رددهما بكل غباء عبر المذياع . . ثم أكمل حديثه بضع دقائق أخرى . . وأطفأ جهاز الإرسال . فسألته :

- مع من كنت تتكلم ؟

- مع مدير حوض المراكب قرب رود إيلند .

- حوض المراكب ؟

- أجل . . فأنا أملك حوض صناعة مراكب . . معظمها مراكب سياحية . . وهذا الجميل هو أول انتاج لآخر موديل صممناه .

- وهذه الرحلة . . أهي اختبار للمركب؟

- لا . . لقد مرّ بكل التجارب اللازمة . . رحلتي هذه للعمل . فأنا آمل أن أحصل على طلبات عدة لمثلها في أوروبا، خاصة منتجعات البحر المتوسط، لأنني سأعرضها في معرض كان في الشهر القادم .

- وهل سيكون هناك مراكب كثيرة ؟

- مئات منها .

- وكيف تعرف أنك ستحصل على طلبات شراء للمركب ؟

- لست متأكداً . لكن هذا مركب جيد، ولقد وضعنا فيه كل ما يلزم المركب . . كسر الجميع ظهورهم بالعمل كي ينتهي في الوقت المحدد لارساله على متن باخرة شحن . . لكننا تأخرنا، واضطررت أن أسافر فيه لوحدي .

- لكن ، ألا ترسل المراكب عادة مبحرة؟

- لا . . أكثر الأحيان مشحونة على سفينة كبيرة . فحجمها صغير جداً بالنسبة للإبحار فوق الأطلنطي . . خائفة؟

هزت رأسها عابسة :

- لا . . لست أدري . . وهل يجب أن أخاف ؟

- على المرء أن دائماً يخاف البحر . . فله ألأعيب خادعة كثيرة . . فلننزل لتناول الطعام .

توجها نحو الباب الذي يقود إلى المطبخ . . لكن ما هي إلاّ بضع خطوات، حتى واجهتها رائحة قوية . . فدفعها عن طريقه مندفعاً إلى الأمام :

- ما هذا ؟

ركضت خلفه، لكنها توقفت في مكانها حين وصل صراخه إليها، وقد أدركت فجأة سبب الرائحة . . لقد نسيت اللحم فوق النار! مد يده إلى فوق وجذبها لتنزل السلم .

- أيتها الحمقاء المجنونة . . انظري ما فعلت !

كان قد أطفأ النار، لكن المطبخ والممر والمقصورات التحتية كلها كانت معبئة بدخان اللحم المحروق . . ماء الخضار المسلوق جفت كذلك، وتبخرت، ولم يعد في وعاء الطبخ سوى خليط محروق . . باشمئزاز فتح نافذة المطبخ فوق الطبّاخ ووضع القدر في المغسلة وفتح فوقه الماء .

نظر إلى دايزي وفمه مشدود، ثم قال متوتراً :

- نظفيه . . لكن أولاً، اصنعي لي سندويشاً وقهوة، واحضريها إلى فوق . . يمكنك صنع القهوة . . هه؟

- أجل . . أجل . . بالطبع . الأمر أنني لست معتادة على طبّاخ الغاز، ولا أعرف أنه يطهو الطعام بسرعة .

بدا لها أن دهراً قد مر عليها وهي غارقة في السخام الأسود والماء إلى أن نظفت كل شيء . بعدها نظرت بأسى الى أظافرها التي كانت طويلة،

وكانت مقلمة جميلة ، وكانت مزينة بالأحمر منذ بضع ساعات . . أوخ ! بتعب جلست تشرب القهوة . لكنها لم تنهها حين ناداها لاوسون بالمذياع الداخلي ليعطيها المزيد من العمل .

بعد وجبة المساء، التي اشرف عليها بنفسه ، وقفت دايزي متعبة إلى المغسلة تنظف الصحون، تنظر إلى خارج النافذة أمامها ساهمة . أفكارها بعيدة جداً . معظمها على أمها . تتساءل ماذا تفعل الآن، وهل أرسلت تطلب حضور أبيها؟ بدا لها الأفق من بعيد، يمتد بخط لا ينتهي إلى الغرب، حيث تلتقى السماء بالبحر، كان نور الشفق اللامع ينعكس فوق الماء يلونها حتى تصبح أمواج البحر المتحركة على الدورام سبب دوار للعين المجردة . . فوقفت تحبس أنفاسها لا تجروء على التحرك كي لا تفسد تعويذة السحر التي تواجهها . وانفتحت عيناها متسعتان لتشربا المنظر البديع المرسوم أمامها . . كانت السماء قد أصبحت حمراء كالدم، ثم انقلبت إلى زهري لامع عند أطراف الغيوم الخفيفة التي توشح الأفق الأزرق الصافي .

حين تلاشت كل الأنوار، استفاقت دايزي من شرودها لتجد نفسها واقفة في الظلام، ويداها في مياه غسيل الصحون التي بردت . التغيير هذا لم يكن مستساغاً . . . وتنهدت وهي تضيء المصباح لتنهي غسيل الصحون . أحست بتعب شديد بعد ليلتها السابقة التي امضتها بالتقيؤ والدوار . . وتاقت لأن تنام .

بحلول الظلام خفت سرعة المركب، وتغيرت ضربات المحرك . . ثم نزل لاوسون بعد قليل إلى تحت يمرر يداً متعبة فوق وجهه، وأدركت أنه بدوره لم ينم كثيراً ليلة أمس . . حتى يمكن ان يكون أقل منها بكثير. وقال لها :

ـ اصنعي لي كوب حليب ساخن . . أرجوك . . فأنا متعب .

وضعت ابريق الماء على النار وسألت :

ـ كيف تتمكن من أخذ قسطك من النوم دون وجود من يساعدك في قيادة المركب ؟

ـ قلت لك، هنا قيادة آلية .

ـ أوه . . صحيح . .

أخرجت علبة الحليب الجاف، وأخذت منها ملعقة لتضعها في الكوب . . لكن يدها وقفت في الهواء .

ـ وماذا لو كان هناك سفينة أخرى ستصدمنا في الظلام ؟

ـ أنوارنا مضاءة . . وهذا محيط واسع . . كما أننا لا نبحر على طريق السفن .

استدارت نحوه :

ـ لكن ماذا لو خرجت سفينة أو ناقلة بترول عن مسارها ؟ لن يشاهدو أنوارنا . . فمركبنا منخفض جداً . وقد يصدموننا دون أن يدروا .

كان صوتها يرتفع رعباً فضحك متعباً :

ـ لا بأس في هذا . . ولا داعي للقلق . . للمركب أحدث تسهيلات الملاحة المعروفة ، وفيها رادار يطلق إشارات إنذار لو جاء أي شيء في وجهه على بعد خمسة أميال .

ـ أي نوع من إشارات الإنذار؟

ـ كصفّارة الغارات الجوية . . ساعة منبه، فتاة تصرخ . كلها في آن واحد .

ـ وهل أنت متأكد أنها ستصحيك ؟

ـ إنها تصحّي الميت . . انتبهي للحليب إنه يفور .

بسرعة استدارت لتسحب الإبريق عن النار، لكنها نسيت علبة

الحليب المفتوحة، فضربتها بذراعها لترسلها طائرة . . أوه . . لا ! .

بعد لحظة دفعها لاوسون بعيداً ليطفىء النار ثم أمسك بقطعة قماش ليرفع الإبريق، ثم يضع العلبة مكانها . . والتفت إليها :

ـ أنت . . أكثر أنثى مهملة، خرقاء، قليلة الخبرة، رماني سوء حظي لمقابلتها . أنت لست جاهلة فقط لرأس المركب من مؤخرته، بل لا تستطيعين الطبخ، ولا التنظيف، ومهملة لدرجة تخلقين فيها عملاً إضافياً أكثر من الذي تنهيه، ولو وصلنا سالمين إلى الكناري . . سأكون مندهشاً . فأنت إما ستشعلين حريقاً في المركب أو ستنسفينه بنا! والآن سأتركك إلى عملك . . عمت مساء .

مرت ساعة كاملة قبل أن تتمكن دايزي من التمدد فوق الفراش . . . لكن بالرغم من تعبها لم تستطع النوم . فاستلقت تصغي إلى أصوات القرقعة التي يحدثها اصطدام المركب بالماء . إنه محيط مخيف، يختلف تماماً عن أي شيء عرفته من قبل . . بدا لها أن دقيقتان فقط مرتا عليها حين قرع لاوسون الباب .

ـ هيا! إنها السادسة والنصف . . وأريد فطاري . . حضّريه بينما أستحم .

باندواخ ، عيناها بالكاد تركزان على ما حولها تعثرت في طريقها للنزول عن السرير . . السادسة والنصف ! يا للسماء . . لم تستيقظ يوماً باكراً هكذا في حياتها .

كان شعره لا يزال مبللاً حين وصل غرفة الجلوس وحياها بحبور :

ـ صباح الخير .

ردها اختنق بالتثاؤب . فسألها :

ـ ما بك! ألم تنامي جيداً؟

ـ لا . . لم أنم جيداً .

ـ لا تقولي لي، أنك فوق كل ما أنت عليه، تبقين مكشرة حتى منتصف النهار؟

ـ لا . . لكنني لم أنم ليلة أمس . . هذا كل شيء .

ـ ستتعودين سريعاً على تحرك المركب . ثم حين تعودي إلى اليابسة، ستجدين صعوبة في النوم لأن كل شيء ثابت . أين الإفطار . . أريد العودة إلى الدفة .

أخرجت بيضتين من الماء المغلي ووضعتهما في طبق صغير وقدمتهما إليه . . نظر إليهما باستغراب ثم حمل الملعقة وضرب إحداهما فاحدثت صوت رنين، ثم أمسك بالبيضة ليرميها فوق الطاولة ، فاخذت تقفز ككرة الطاولة . وهز رأسه :

ـ كنت محقاً . . لا يمكنك حتى أن تسلقي بيضة . . ألديك شيء ضدي دايزي ؟

ـ لا . . لا .

ـ لماذا إذن تحاولين حرقي أو تسميمي أو إماتتي من الجوع ؟

ـ أنا لم أسلق بيضة من قبل . وليس ذنبي إذا أصبحت قاسية ولا بد أن طبّاخ الغاز ينضجها بسرعة .

وقف متجهاً إلى الطبّاخ :

ـ العامل الفاشل يلقي اللوم دائماً على أدواته . انظري . . سأعلمك أول درس في الطبخ ، لكن احذري لن أعيده ثانية عليك .

أمسك بالمقلاة ودسها تحت أنفها :

ـ هذه مقلاة . . من النوع الذي لا يلتصق فيه الطعام . . ولا يحتاج إلى زيت أو زبدة . ضعيه على نار متوسطة ثم اكسري البيض فيه هكذا . .

كسر بيضتين، ثم وضع فوقهما اللحم المقدد، والفطر، والطماطم،

إلى أن امتلأت المقلاة، فسأل :

ـ أين الخبز؟

ـ لقد أكلته أنت كله ليلة أمس . . أتذكر ؟

ـ إذن اخبزي لنا غيره .

ـ أخبز؟ لكنني لا أعرف .

ـ حسناً . . الآن فرصتك لتتعلمي .

فتح الثلاجة وأخرج لفافتين منها وقال :

ـ هذه أرغفة غير مخبوزة . . كل ما عليك هو أن تضعيها في الفرن في الحرارة المطلوبة وللوقت المطلوب . . طفل . . أو عليّ أن أقول أنت بإمكانك فعل هذا .

صب البيض واللحم في طبق .

ـ هذا ما أتناوله عادة . . أريد هذا أو ما يعادله من طعام جاهزاً على الطاولة كل صباح في السابعة . . أفهمت ؟

هزت رأسها . . لكن فكرة خطرت ببالها فسألت متعجبة :

ـ وأين فطاري ؟

ضحك . . .

ـ بعد أن علمتك . . أطبخي لنفسك . وهكذا تتمرنين على الطبخ قبل صباح الغد .

نظرت إليه بغضب، ثم خرجت صافقة الباب ورائها . . فليأكل هذا القذر لوحده . .

كانت هذه بداية يوم رهيب، سار كل شيء فيه من سيء إلى أسوأ . وارتفع صوت لاوسون في المذياع يعطيها الأوامر كل خمس دقائق . . إضافة إلى أنها رمت الأوساخ من الناحية الخاطئة للمركب حتى أن الريح أعادها كلها إليها . . ثم نسيت الماء مفتوحة في الحمام حتى أن الكثير من

الماء الحلو ذهب سدى . . بعدها أحرقت ثلاثة لفائف قبل أن تتمكن من تحضير رغيفين من الخبز . إلى أن نزل لاوسون قبيل وجبة المساء كانت دايزي أكثر تعباً مما أحست يوماً في حياتها .

هذا المساء، وضعت اللحم في الفرن إلى جانب قالب حلوى بالتفاح، وطبخت الخضار والحساء . . . بكل تأكيد لن تدعه الليلة يتذمر .

تناول ملعقة من الحساء، ثم رمى الملعقة بقرف .

ـ ما هذا . . ؟ إنه بارد ؟

ـ لا يمكن . . إنه يغلي منذ عشر دقائق .

ـ ذوقيه بنفسك .

ذاقته وامتلأ وجهها رعباً . . إنه على حق .

ولكنني لا أفهم .

ـ تقدم إلى الطبّاخ .

ـ كل الأواني باردة . . وكذلك الفرن . . هل فتحت صنبور الغاز؟ لا يمكن لك أن تكوني بهذا الغباء ؟

ـ بالطبع فتحته .

نظر ملياً إلى الطبّاخ ثم صاح :

ـ هذا صحيح . . لا بد أن الغاز فرغ من الأنبوبة . . كيف يمكن لك أن تبددي انبوبة غاز كاملة في يومين؟

وتذكرت، أنها اشعلت الفرن، طوال اليوم تقريباً، في محاولة صنع الرغيفين . . ولا بد أن الأسى والإحباط بديا بوضوح على وجهها . . إذ قال بيأس :

ـ يا إلهي . . لقد فهمت الآن كل شيء . . أنت لا تجهلين فقط كيف تسلقين بيضة، بل لا تعرفين حتى إذا كانت النار مشعلة تحت الطعام .

www.elromancia.com

قولي لي دايزي . . ما الذي تبرعين فيه ؟

ـ كيف تجرؤ على الكلام معي هكذا؟ أنا لست خادمتك . . طوال النهار وأنت تأمرني وتستدعيني عبر مذياعك العفن . . ولقد سئمت كل هذا . . . أتسمعني؟ لقد سئمت! إفعلي هذا! إفعلي ذاك ! اعطني شيئاً! نظفي هنا . . !

فتح فمه ليتكلم، لكنها أصمتته منفجرة :

ـ لقد اكتفيت! لن أحرك إصبعاً في العمل إلى أن نصل . كم أتمنى لو أنني لم أقرر المجيء معك في هذا المركب القذر !

قاطعها بغضب أشد من غضبها :

ـ أيتها الكسولة . . لمجرد أن بضع أشياء فسدت، تهربين كطفلة، بدلاً من محاولة أن تتعلمي من أخطائك .

ـ بضع أشياء! أنت تنتقم مني في كل لحظة منذ وجدتني هنا . كيف لي أن أعرف أن الغاز سيفرغ من الأنبوبة ؟ . وليست غلطتي أنني لا أعرف الطبخ .

ـ في هذه الحالة، لماذا كذبت ؟

ـ حسناً . . لا حاجة لك للظن أنني سأعمل لك . . لأنني لن أفعل فقم بما شئت لوحدك . . و . .

ـ حسناً . . على الأقل هكذا لن أتسمم . .

ـ وسأطبخ لنفسي . . وكلما قلّت مشاهدتي لك حتى انتهاء الرحلة، كان أفضل!

ـ مد ذراعه يمسكها .

ـ لا . . لن تذهبي . . لم أنه كلامي معك بعد . . قلت لك منذ البداية أنني لا أحمل مسافرين معي . فإذا أردت الوصول إلى أوروبا فستعملين لقاء نقلك، شئت هذا أم أبيت .

ـ لا . . لا . . لن أفعل! ولا يمكنك إجباري !

رده الناعم :

ـ أوه . . بلى . . أستطيع إجبارك !

جعل وجهها يشحب لكنها قالت له مرتجفة :

ـ لا تقلق، لن تخسر شيئاً . . سادفع لك إيجار نقلي حال أن تصل .

ـ لكن . . لا مال لديك، أتذكري ؟ .

ـ ساحصل على المال .

ـ لا . . لو قبلت بشروطك، فهذا يعني أنني مضطر لاطعامك والعناية بك . إضافة إلى قيادتي للمركب . . لا . . ستعملين، أيتها الشابة . .

ـ لن أفعل . . وبامكانك فعل ما تشاء !

ـ حسناً . . إذا كنت مصممة، لم يبق أمامي سوى شيء واحد أقوله .

ـ وما هو ؟

ـ إذا لم تعملي، فعليك الدفع بطريقة أخرى .

تقارب حاجباها معاً بحيرة .

ـ لست أفهم ما تعني ؟

ـ ألا تفهمين؟ لكنني أظنك تفهمين . . لا بد أنك بارعة في شيء ما . . ربما في هذا .

أمسك بذراعيها وجذبها إليه، ثم لف ذراعيه حولها . .

www.elromancia.com

٤٠

مواجهة الحقيقة

مضت بضع لحظات كانت فيها دايزي مذهولة لدرجة عدم الرد. لكن حين أحست بيديه تتحركان عن ذراعيها . . لتشدانها أكثر إلى جسده النحيل القوي العضلات، عادت مجفلة إلى وعيها وحاولت الابتعاد. لكن ذراعاه اسرتاها، حرمتاها من الحركة، أصوات احتجاجها اختنقت فوق صدره. . لم تكن قد عرفت من هو بقوته، ليس جسدياً فقط بل فكرياً كذلك، كان كمن يحاول فرض إرادته عليها ليسيطر عليها تماماً. دون جدوى حاولت دفعه، لكن يده ارتفعت لتمسك شعرها تشد رأسها إليه وتبقيها دون حراك.

عندها فقط أحست بأن ناراً بدأت تتحرك داخلها . . كانت تنتشر كاصابع اللهيب في جسدها حتى اشتعلت كل أطراف أعصابها. . . . وببطء أخذت تسترخي، مقاومتها تخف ولفت ذراعيها حوله.

حين تركها تنفست مرتعدة، ثم فتحت عينيها ببطء، كان يحدق فيها وشيء غريب في عينيه، وقال بصوت أجش :

ـ الآن عرفت ما أنت نافعة فيه. . في مقصورتك أم مقصورتي ؟

لا زالت مندوخة، فلم تستوعب ما قال!

ـ ما. . ماذا ؟

ـ قلت في مقصورتك أم في مقصورتي ؟

اتسعت عيناها :

ـ اتعـ. . . أتعني. . تريدني أن . .

وتراجعت خطوة غير قادرة على الإكمال فرد ببرود :

ـ هذه هي الفكرة.

ـ لكن. . لا أستطيع!

ـ لماذا ؟

ـ لأنني. . لا أريد . .

ـ بلى. . تريدين. كما استجبت لي، برهنت هذا دون أدنى شك.

ـ هذا . . غير صحيح . . لقد فاجأتني وهذا كل شيء .

ـ حقاً؟ حسناً. لن تفاجئي هذه المرة. أليس كذلك ؟

ـ لا . . لا . . لا تفعل.

لكن احتجاجاتها ضاعت سدى مرة أخرى حين ضمها إليه ثانية، لكن هذه المرة بخشونة أكثر. حاولت أن تبقي نفسها متصلبة . . أن تنكر على نفسها أي تجاوب . . لكن ما هي إلا لحظات، حتى أحست بالنار تشتعل مجددا، وتنتشر بسرعة أكبر. . وتلاشى كل تعقل وإدراك أمام الإحساس الرائع الذي كان يثيره فيها . . فضاعت عن كل شيء سوى حاجتها لأن تستجيب . . وأن تبقى بين ذراعيه. لكن . . حين أحست بيده تتمادى في المداعبة . . تسللت كمية محددة من التعقل إليها فشدت نفسها إلى الوراء، تتنفس بغير انتظام، تحس فجأة بالرعب. للحظات طويلة حدقا ببعضهما ثم قال لاوسون باقتضاب :

ـ حسناً ؟

ـ أنا . . أنا . . لا أعرفك .

www.elromancia.com

ـ يمكن التعويض عن هذا بسهولة .

ـ إذا كنت تظن أن عناقك لي يكفي لجري إلى . .

ـ أوه أتريدين المزيد؟ بكل سرور . . لكنني اؤكد لك أنني بارع أكثر في . .

وخطا نحوها فتراجعت بسرعة إلى أن وصلت للباب .

ـ لا . . ! ليس هذا ما عنيته .

ورفعت يديها وكأنها تبعده عنها، فقال بنفاذ صبر :

ـ إذن ماذا تعنين بالضبط ؟

ـ حسناً . . أنا . . أنا . . لماذا تريدني ؟

ـ لماذا؟ لنقل مثلاً أننا لا نستطيع العيش مع طبخك، فلنحاول العيش بالحب .

شحب وجهها بشدة وقالت بحدة لالتواء فمه بابتسامة :

ـ هذا غير مضحك .

ـ لا . . أنت محقة . . ليس الأمر مضحكاً . . ولماذا تظنين ؟ أنت امرأة، ومتوفرة لي، وأنا أريدك، هذا كل شيء .

حدقت به فاغرة الفم . . تحس بالإذلال أكثر من أي يوم مضى عليها في حياتها .

ـ وهنا أنت مخطىء . . أنا لست متوفرة لأحد أيها القذر المتعجرف! لو ظننت أنني أريدك . . حتى أن تلمسني . . فأنت مجنون! أنت مجرد . .

خرس صوتها فجأة بعد أن مد يده ليطبق على عنقها كان على وجهه نظرة متجهمة سوداء . . وللحظات عرفت ما هو الخوف فعلاً . . الخوف الحقيقي الشال للدماغ، وهي تحس بقوته، وأن عليه فقط أن يظهرها لينفذ إرادته ويجعلها تفعل ما يريد، لكنه أخيراً قال ببرود :

ـ حسناً . . فهمت رسالتك .

وتركها متراجعاً، وأكمل :

ـ أيتها الحمقاء الصغيرة المجنونة . . هل ستعملين كبحارة أم لا ؟

بعناد هزت رأسها :

ـ لا .

ـ أوكي . . إذا كان هذا ما تريدين . . لكن إذا رفضت دفع ثمن رحلتك باية طريقة، فلن تشاركي في الطعام .

ـ ماذا تعني ؟

ـ ببساطة : إذا لم تعملي . . لن تأكلي .

صاحت به :

ـ حسناً . . هذا يناسبني تماماً .

وتركته مع وجبة طعامه الباردة غير المطبوخة .

في فراشها أخذت تتقلب مفكرة . . متمنية لو أنها طلبت منه أن يعيدها حين سنحت لها الفرصة . . لكن الوقت فات الآن وعليها أن تحاول تحمله بطريقة أو اخرى حاولت أن تفكر كم بقي لهما ليصلا . . لكنها لا تعرف بالضبط أين هي جزر الكناري . . إفتراضاً، هي في مكان ما على طول الساحل الاسباني . . ولديها فكرة ضبابية أن الرحلة تستغرق خمسة أيام ما بين نيويورك وجبل طارق . لذلك، بما أنهما مسافران منذ ثلاثة أيام فلا بد أن يصلا جبل طارق إما غداً أو بعد غد . . ماذا يقال في مثل هذا الموقف؟ وصلت إلى نقطة اللارجوع ؟

للحظات فكرت بالمنظر الذي سيحدث حين تصل إلى هناك وتقول للسلطات من هي . . ويرسلون بطلب أبويها . . . وكم ستكون الصدمة كبيرة لهذا الحقير: لاوسون فليتشر! فكرت بسعادة بالإذلال الذي سيحس به حين يعلم أنها خدعته، عندها سيحس بالأسى لأنه جعلها تعمل بقسوة، ثم مراودتها عن نفسها، وبعدها تركها دون طعام . . .

ستتمكن من الصمود دون طعام حتى الغد . . دون شك . لكن إذا لم يصلا حتى بعد الغد . . بسرعة ابعدت الفكرة عن رأسها محاولة التركيز على ما ستقوله لأبويها . . لكن تفكيرها كان يعود غاضباً للتفكير بخصامها مع لاوسون فليتشر .

بقيت تفكر هكذا إلى تناهت إلى أنفها رائحة الطعام . . الحيوان . . المتوحش . . لا بد أنه يطبخ اللحم الآن . . اللعنة عليه! . . ستريه أنه لا يمكن لأحد أن يرهبها حتى ولو تضورت جوعاً!

في اليوم التالي تكررت نفس القصة . . سمعته ثلاثة مرات يعمل في المطبخ وهو يصفّر، ثم تصل إليها رائحة الطعام اللذيذة . . لم تضطر مرة من قبل أن تتخلى عن وجبة واحدة . . ودهشت كيف أنها أحست بالجوع بسرعة .

ذلك المساء سمعته يصفر في الحمام وهو يستعد للنوم . ثم سمعت حركته في مقصورته، وصوت طقطقة سريره وهو يحمل ثقله . . ولما بدا لها ساعات طويلة استلقت غير قادرة على النوم . . لسعات الجوع بدأت تضرب معدتها . فأخذت تفكر بكل ذلك الطعام اللذيذ في خزائن المطبخ . . فجأة لم تعد تحتمل، رمت عنها الغطاء، وفي ضوء القمر المتسلل من الكوة، وجدت الروب الذي اعطاه لها فارتدته فوق جسدها، ثم سارت على رأس أصابع قدميها الحافيتين، وأرجعت مزلاج بابها . . دون جرأة على التنفس، توجهت إلى المطبخ . . دخلته وأقفلت الباب وراءها بالمزلاج ثم أضاءت النور .

بسرعة قطعت لنفسها قطعة خبز كبيرة وضعت فيها اللحم المقدد، وقطعة من الحلوى الذي كانت ستحضره بالأمس . ثم أخذت علبة بسكوت وقطعة جبن كبيرة وضعت كل شيء في علبة صغيرة وأخذت من البراد زجاجة عصير برتقال، ثم أطفأت النور وفتحت الباب .

ولأن باب مقصورتها كان مغلقاً دفعته بكتفها ثم دخلت بسرعة لتضع الأغراض على الأرض ثم سارعت لإقفال الباب من الداخل . . أخيراً أصبحت بأمان !

أضاءت النور ومدت يدها لتأخذ الطعام عن الأرض :

ـ أهي حفلة طعام منتصف الليل ؟

صوت لاوسون الساخر جعلها تجفل وتجمد في مكانها فالتفتت لتراه يجلس على سريرها عاري الصدر لا يرتدي سوى الجينز . وتابع :

ـ كنت أعرف أنك ستحاولي فعل هذا الليلة . فهذا تماماً هو العمل الوضيع المتسلل الذي من شيمتك . وكما قلت، إنها مأدبة لحفلة كبيرة . . والآن ارجعيها إلى حيث أتيت بها .

بدأ قلبها يخفق، وتراجعت إلى الوراء .

ـ ظننتك نائماً .

ـ هذا واضح . . لقد سمعتني أرجعيها من حيث أتيت بها .

ـ لا .

ضاقت عيناه :

ـ أتحاولين أن تتحديني ؟

ـ أنا جائعة .

ـ وهذه غلطتك . . تعرفين الشروط .

كي تخفي إحباطها لجأت إلى الغضب .

ـ ليس من حقك أن تملي عليّ أي شيء . . لقد عرضت عليك دفع أجرة السفر .

ـ لكن ليس بالطريقة التي تروق لي . . لا أريد مالك . . أريد خدماتك فقط . . بهذه الطريقة أو تلك .

تجولت عيناه فيها . . دون استعجال . . يأخذ كل وقته . . . بينما

وقفت هي . . وكأنها تحولت إلى حجر . . تنتظر . . فقط تنتظر . لم يقل شيئاً ، بل مد يده يفتح الروب قليلاً . . فأحست بالإرتجاف . كانت تعلم أن الموقف خطير، وأن عليها أن توقفه . لكنها أرادته أن يلمسها . . أرادته أن يضمها . . وتكونت نقاط عرق على جبينها وعلى شفتها العليا . . ثم رفعت رأسها فالتقت عيونها . . لم تجد سوى الرغبة في عينيه ، لكنها مجرد رغبة ، لا عاطفة فيها . . في الواقع بدا وجهه متجهماً . . شفتاه مشدودتان في خط رفيع . . فكه قاس . همهم بعناد . وكأنه قد استقر الرأي بكل برودة دم أن يثيرها ويعابثها حتى تستسلم له بإرادتها . . لكن كل عاطفته كانت مكبوتة وراء سيطرة حديدية ، تحاول فقط الأخذ دون العطاء، لمجرد إرضاء نزوته .

تصلبت، لكنه أحس بالتغيير، فشدها إليه بسرعة ، وببطء متعمد . . فصرخت رعباً ووضعت يديها على صدره لتغرز أظافرها في لحمه . . وقد بدا لها تعبير الانتصار المحسوب في وجهه . وأرجعت نفسها إلى الوراء . . عيناها متسعتان من صدمة ما رأت على وجهه . . استخدمت كل قوتها لتنتزع نفسها منه ، وبسرعة لفت الروب حول نفسها . . وأحست أنه استغلها واستغل ضعفها .

ـ أتركني وشأني !

ـ ما بك ؟

ـ سمعتني . . ابتعد عني . . لا أريدك أن تلمسني .

ضحكته لم تكن مرضية ومد يده لها من جديد، لكنها تراجعت حتى اصطدمت بالباب !

ـ أنا أعني ما أقول .

تحول إلى الغضب :

ـ لأجل السماء توقفي عن التلاعب . . أنت تريدينني بقدر ما أريدك .

ما من امرأة تستجيب مثلك إلاّ إذا كانت راغبة .

ـ كيف تجرؤ على قول مثل هذا لي ؟ لمجرد أننا لوحدنا على مركبك تظن نفسك قادر على فرض نفسك عليّ .

ـ أنا لم أفرض نفسي يوماً على امرأة لا تريد . . وأنت بالرغم من انكارك لم تكوني رائدة فحسب بل متشوقة .

ـ لا . . لا أريدك أن تلمسني ! أنا لا أحبك .

ـ يا الله ! أهكذا هو الأمر إذن ؟ أنت من النوع الذي يحب الإطراء وتصريح الرجل لك بالحب قبل أن تقبلي معه بأي شيء؟ حسناً . . أنا مستعد لإظهار بعض الرومانسية . . إذا كان ما تحتاجينه ؟

أبعدت نفسها عن الباب ببطء، وقالت ببرود :

ـ لن يكون هذا ضرورياً . فلقد ربحت الجولة . . سأعود للعمل كبحارة .

ـ ربما الخيار لم يعد مفتوحاً أمامك .

انتابها الذعر مجدداً :

ـ لكنك قلت أنك لن تفرض نفسك عليّ .

ـ وقلت كذلك أنني لا أحب التلاعب دايز . . وبشكل خاص لا أحب الفتيات اللواتي يتظاهرن بأنهن صعبات المراس .

ـ أنا لا أتلاعب بشيء .

ـ إذن لماذا لا تختارين الطريق السهل ؟

ـ لكنني أخذت الطريق السهل بالنسبة لي .

ـ ما الذي تريدينه بالضبط مني؟

ـ لا شيء . . أنا لم أطلب منك معانقتي أو مراودتي . . ولا يجب عليك أن تظن أنني اتمتع بهذا . . لأنني لا أتمتع .

ضحك ساخراً .

www.elromancia.com

- أوه . . بل تتمتعين . . ما من شك في هذا . وأنت تعرفين جيداً ما ينتظرك منذ لحظة وافقت على البقاء في المركب بدل العودة إلى الشاطىء .

- لا . . لم أكن أعرف . . كنت فقط أريد الابتعاد قليلاً . . أو الوصول إلى أوروبا .

- لا تظهري لي البراءة! لا بد أنك تعرفين العشرات من الرجال، هذا عدا من كنت معه في تلك الحفلة .

شحب وجهها بعد أن أدركت في أي موقف خطير رمتها مخيلتها . كانت تنوي تعليم أهلها درساً فلم تهتم بالخطر الذي قد يحيق بها . وقالت مترددة :

- لقد كذبت عليك في هذا . . كنت فعلاً في حفلة ، إنما في نادي «رود ايلند بيتش» . . وتحداني أحدهم أن أسبح حتى مركبك . ففعلت .

- يا إلهي . . ! اتعنين أنك كنت معي طوال هذه المدة ؟

- أجل . . لا أذكر كثيراً في الواقع ، لأنني كنت متعبة ونمت على الفور .

- من حسن حظك أنك لم تغرقي ، فالمد مخيف هناك في الليل . . لماذا لم تقولي لي هذا منذ البداية . . لماذا أخترعت قصة الاحتفال في مركب يرسو في نيوبورت؟

- بدت لي فكرة جيدة ساعتها .

- وهل كذبت . . حول عمرك أيضاً ؟

أطرقت رأسها على مضض تتابع :

- كم عمرك ؟

- تسعة عشر .

صاح مذهولاً :

- أنت لا تناسبين أن تتركي لوحدك حتى . . قلت أن هناك من تحداك للسباحة إلى مركبي . . هل رآك أحد تصعدين إليه .

أدركت فوراً مدى خطر رد صحيح على هذا فأجابت :

- أوه . . طبعاً . . حشد من الناس . . لكن حين صعدت وأدركت أن المركب فارغ ، وليس فيه قارب يعيدني لم أحس أن لي القدرة على العودة سباحة .

- هكذا إذن . . هل يعلم أهلك أين أنت ؟

- والداي مطلقان منذ زمن طويل . ولا يهتمان بي .

- وهل هذه هي الحقيقة ؟

ضحكت بسخرية قاسية :

- أوه . . أجل . . إنها الحقيقة المؤكدة .

- هل أنت واثقة أن ما من أحد يجب أن يعرف أين أنت ؟

ارتفع رأسها إلى الأعلى متحدياً .

- لا . . ما من أحد .

- أيتها الحمقاء! لماذا لم تقولي الحقيقة منذ البداية ؟

- لم أكن أظن أنك ستأخذني معك لو عرفتها .

- بكل تأكيد ما كنت سافعل . . ولا كنت حاولت أن . .

وصمت ، فأكملت كلامه :

- ما كنت حاولت مغازلتي . . لماذا لا تقول هذا؟

لقد كنت مستعداً أن تفعل .

- ربما هذا صحيح . . لكن لا تقلقي . . لن أحاول ثانية .

وهذا ما كان يجب أن يكون مصدر ارتياح لها . . لكنها بطريقة ما أحست بمشاعر مختلطة ، ولم تستطع أن تتكلم .

www.elromancia.com

وسمعته يتابع :

ـ كنت أعني ما أقول حين توقعت منك أن تقومي بالمشاركة في العمل .

ـ أعرف . . ولا بأس في هذا . . سأعمل . على أي حال سنصل جبل طارق غداً . . وعليك تحمل طبخي حتى الغد فقط .

ـ وهل تظنين هذا المركب سفينة كبرى؟ صحيح أننا نسير بسرعة لكننا لن نصل قبل خمسة أيام على الأقل .

صاحت مذعورة :

ـ خمسة أيام ؟

يا للسماء! لكانت ماتت جوعاً لو قرر الاستمرار في حرمانها من الطعام . وضحك لاوسون بمرح حقيقي .

ـ أهكذا تمكنت من الصبر؟ لأنك ظننت أننا سنصل قريباً؟ توقعت منك أن تستسلمي قبل هذا الوقت .

تذكرت كيف كان يريد منها أن تستسلم، فأخفضت رأسها إلى الأرض . . وركزت على التهام أخر قطعة من السندويش الذي حضرته سابقاً . . ثم قال لها :

ـ إذا كنت قد اكتفيت من الطعام . . اصعدي إلى فراشك ونامي . . وأنا أيضاً بحاجة إلى الراحة .

ـ أجل . . بالطبع . . وأنا آسفة على كذبتي عليك .

استدار ليترك الغرفة لكنه عند الباب توقف :

ـ دايز . .

ـ نعم .

وقف ويده على الباب صامتاً للحظات طويلة :

ـ ألا زلت عذراء ؟

ما من رجل . . أو حتى امرأة، تجرأ من قبل أن يسألها مثل هذا السؤال . . وكان يجب أن تغضب . . تسخط . . أو على الأقل تحس بالحرج . . لكنها بشكل غريب لم تحس بأي من هذه المشاعر . . إنه سؤال مباشر يستلزم رداً مباشراً . . وعرفت أن من المهم أن تقول الحقيقة :

ـ أجل . .

لم يرد، ولم تتوقع منه الرد . . هز رأسه وأكمل طريقه إلى الخارج .

www.elromancia.com

٥.

هذا الرجل.. أكرهه

النور المندفع عبر الستائر صحّى دايزي في الصباح التالي. . استلقت بكسل على السرير لبضع دقائق، تفكيرها يمتلىء على الفور بما حدث بينها وبين لاوسون ليلة أمس. . بوجه عام، خرجت مما جرى بخير تام . . فقد كان عليها أن تخبره بعض الحقيقة، لكن ليس بما يكفي ثمناً للعبة التي تلعبها . ثم تذكرت أنها وافقت أن تعمل، «وبوّزت» فمها امتعاضاً. . لكنها في الواقع أحست بالضجر وهي لوحدها في مقصورتها حين كانت تنفذ «إضراباً» عن كل شيء. . ركعت لترجع الستائر وتمتلىء المقصورة فوراً بنور الشمس وحرارتها التي أحست بها عبر زجاج النافذة . عما قليل سيبدأ لاوسون بالصياح طلباً لفطاره، والأفضل لها أن تبدأ العمل .

أخذت تهمهم لحناً شعبياً وهي تكسر البيض بحذر كما علمها وتضعه في المقلاة. . الجو حار في المطبخ . . ففتحت النوافذ لتتمتع بلسع الشمس اللذيذ على ذراعيها .

ـ ما هذا! أيمكن أن تكون هذه نفس المضربة العبوس التي كانت معي بالأمس ؟

ضحكت دايزي :

ـ إنه تأثير الشمس. . أنا فتاة تحب الصيف . ولا أزهر إلاّ في نور الشمس .

ـ في هذه الحالة، أنا سعيد لوصولنا إلى منطقة سنحصل فيها على الشمس بشكل متواصل .

ـ حقاً؟ كم هذا رائع ! سأتمكن من اكتساب السمرة . . إذا أنهيت عملي طبعاً .

ـ أوه. . حسناً. ستصبحين بنية اللون وأنت تنظفين السطح .

نظرت إليه ساخطة، لكنها لاحظت أنه كان يمازحها فضحكت. . وصبت الطعام في الطبق، تصلي لله أن لا تفسد البيض، ووضعت الطبق منتصرة أمامه تنتظر رأيه . سرعان ما وقع نظره إلى وجهها المرتبك !

ـ عليّ أن اعترف بأنني أخطأت مرتين. . فعهد المعجزات لم يزل بعد. . تبدو رائعة .

ـ ذقها أولاً .

ثم استدارت لتحضر لنفسها ما تأكله. . تتساءل ما هي يا ترى المعجزة الأولى . . .

كانت الشمس مغرية تجذبها كالمغنطيس. . وما أن أنهت عملها حتى تسلقت السلم إلى السطح، حيث وقفت بضع لحظات تستمتع بإحساس الشمس على جسدها، تحول شعر ذراعيها إلى شقار الذهب. البحر اليوم مختلف تماماً . قبل اليوم كان يبدو لها معادياً. . عنصر حاقد كان يتلاعب بالمركب ليصيبها بالغثيان وينتزع النوم منها في الليل. . رائحته الحادة كانت قوية. . لا تذكر إطلاقاً أنها شمّت مثلها حدة من قبل. . نظيفة، مالحة ، عطر يحمله الريح، قديم كالزمن نفسه .

لما تبقى من اليوم حذرت أن تبقى بعيدة عن طريق لاوسون، لكنها لم تحاول تجنبه حين نزل إلى المطبخ ليعلمها طريقة تنظيف سمكة التقطها في الصباح.. عملية إخراج الأحشاء قلبت معدتها. لكنها تمكنت من البقاء تراقبه.. فيما بعد لم تعد السمكة تبدو كسمكة حين وضعها في صينية دسها في الفرن. ثم وضع يداه إلى كتفيها متفهماً:

- كنت عظيمة.

فتحركت نحوه لتضع رأسها على صدره تحس ارتجاف الارتياح لانتهاء عملية التنظيف:

- كنت خائفة أن أتقيأ.

- لا بأس في هذا. ساعلمك كيف تصبحين صيادة ممتازة.

ابتسمت سعيدة لرضاه عنها، واستراحت على كتفه، شد عليها قليلاً ثم أبعدها:

- ابقي عينيك عليها، لا أريدها أن تحترق.. سأصعد إلى غرفة القيادة لأجري اتصالاً بالراديو.

تناولا السمكة بصمت، كانت خلاله تحاول أن تنسى ماذا تأكل، لكنها لم تنجح كثيراً، بينما تناول لاوسون طعامه بشهيته المعتادة.. وتمتمت:

- سأضع القهوة.

كان قد انهى طعامه حين عادت واشعل سيكارة، وهما يحتسيان القهوة سألها:

- منذ متى انفصل والداك؟

- ماذا؟ أوه منذ زمن بعيد. كنت في السادسة من عمري حين ترك أبي المنزل. ولا أذكرهما معاً أبداً.

- هل تزوجا مرة أخرى؟

- والدي تزوج.. مرتين.. لكن أمي لم تفعل.

- أتلومين أباك على هذا؟ أعني أنه تزوج من غير أمك؟

- يا إلهي.. لا! حتى القديس لا يستطيع العيش مع أمي. ما من أحد من أحبابها استمر طويلاً معها.

- لماذا؟

- لأنهم يتعبون أخيراً من التصرف كالأذلاء أمامها.. أو أنها هي من تضجر منهم. ولا تجد صعوبة في التبديل، فالرجال يقفون بالصف بانتظار رضاها.. أترى.. أمي ليست مثلي.. إنها جميلة.. وأعتقد أنني كنت خيبة أمل لها.

وضحكت دون مرح، فمد يده يغطي يدها وقال:

- توقفي عن الإقلال من قيمة نفسك.. أنت رائعة.. صدقيني رائعة.

ترك يدها وتراجع، فسألته:

- لم سألتني عن والداي؟

- بدا لي غريباً أن لا يسألا عنك، وأنت صغيرة السن هكذا، وربما تلومينهما معاً لانفصالهما.. دون بذل جهد للبقاء معاً ولو لأجلك.

ارتفع رأسها بحدة:

- إنهما لا يهتمان بي.. كلاهما مشغول بعمله، وبحياته، ولم يهتما يوماً بي.. كل ما كانا يفعلان هو الصراخ في وجه بعضهما والجدال.. و..

وصمتت تعض شفتها.. فقال بهدوء:

- وتتوقعين أن يبقيا معاً بعد كل هذا؟

- كان يمكن أن يحاولا.

- وربما حاولا، وحاولا بجهد قدر ما يعرفا لأول ست سنوات من حياتك.

www.elromancia.com

هزت رأسها بعناد :

ـ لا أصدق هذا . ولا أظنها فكرا بي إطلاقاً .

صاح بها وقد نفذ صبره من عنادها :

ـ لأجل الله اكبري ! لا يمكنك توقع شخصين كرها بعضهما أن يبقيا متزوجين حتى ولهما طفل يفكران به ، لن يكون هذا إنصاف لأي منهما . . ولا للطفل . . . وبكل تأكيد أنت راشدة بما يكفي لتفهمي هذا . . استمرارك بكراهية هذا الواقع كما تفعلين ، أمر طفولي وحماقة لا تصدق .

احمرّت وجنتاها بالغضب . . ووقفت بعنف على قدميها :

ـ كيف تجرؤ على أن تكلمني هكذا ؟ هذه المرة الثانية اليوم تقول لي فيها أن أكبر . . ماذا تظن نفسك . . أب بالوصاية أم ماذا ؟ أنت بكل تأكيد كبير في السن لتكون والدي !

توقعت أن يغضب لوقاحتها وفظاظتها ، لكن لدهشتها ضحك ساخراً :

ـ هذا بالضبط نوع ردة الفعل التي توقعتها من طفلة مثلك .

ـ أيها الحيوان ! أنا لست طفلة !

وقفزت نحوه قبضتاها تتطوحان في الهواء . . فرفع يداه ليحمي وجهه ، ولا زال يضحك .

ـ أيها القذر ! توقف . . ! توقف عن الضحك عليّ !

ضربت الطاولة بيدها لترمي كوب زجاج ويتحطم على الأرض . فسارع إلى الإمساك بمعصميها بيد واحدة ، وقبض على شعرها بالأخرى ليجبرها على الهدوء .

لم يعد يضحك . . وقال من بين أسنانه :

ـ أيتها الطفلة المفسودة . . ! كان على أحد أن يضع على ركبتيه

ويضربك على قفاك بشدة منذ سنوات .

صاحت متألمة :

ـ أتحاول لعب دور الأب القاسي مرة أخرى؟

ـ ربما يجب أن أفعل . . لكنت صنعت معروفاً لنا معاً .

ـ يا قذر ! أيها النذل المتعفن !

على الفور جرّها إلى الأمام وجلس ، فوقعت على ركبتيه ، وجهها إلى الأسفل وساقيها بين ساقيه . . وترك معصميها ورفع قميصها . . وعرفت ما سيحدث فأخذت تصرخ احتجاجاً ، تحولت صرخاتها فجأة إلى صرخات ألم وهو يهبط بكفّه على مؤخرتها بقوة . . حين توقف صراخها وسبابها ، وأحس بارتجافها وشهيق بكائها ، توقف عن الضرب ، وتركها . قائلاً بصوت متجهم ، وأنفاس ثقيلة :

ـ لقد طلبت هذا بنفسك .

لم تلتفت إليه بل جذبت نفسها متعثرة لتقف ، ثم ركضت إلى الخارج ، لتقفل على نفسها باب مقصورتها ، وترمي نفسها على السرير ، ودموع الألم والإذلال تجري على وجهها . . ما من أحد . . حتى والديها . . تجرأ مرة على وضع اصبعه عليها من قبل . . يا الله كم تكرهه . . تكرهه !

بالتدريج أخذت تفكر بأنها هي من حرضته ، لكن ليس لمثل هذا بالضبط . . وهي ممسوكة بين ركبتيه ، تحس نفسها قريبة منه . . كانت تريد سبباً لأن تكون أقرب له . . تتلمسه . . لذلك حاولت مقاومته . . لقد عاملها كطفلة شريرة ومدّها بين ركبتيه . . أكان يمكن أن يتصرف معها هكذا لو أنها لم تعترف بصغر سنها؟ . . استدارت لتتمدد على بطنها . . فمؤخرتها كانت تؤلمها . . هل سيعاملها كطفلة لما تبقى من الرحلة؟ . . واستدارت ثانية إلى جنبها . . صحيح أنه عاملها بخشونة ،

إلاّ أنه لم يفقد أعصابه معها. في الواقع لم يفعل يوماً، منذ حلولها على مركبه. . ولم تتمالك من التساؤل كم يلزمها من إثارة لتدفع بقبضته الحديدية على أعصابه أن تنكسر.

كانت الشمس في الصباح التالي أكثر حرارة بما لا يقل عن العشر درجات . . ولم تكن دايزي بحاجة لأن يقول لها لاوسون أنهما اقتربا من طقس المنطقة الافريقية. . بعد أن انهت كل أعمالها في المقصورات السفلى، جعلها تنظف نوافذ المقصورة الرئيسية العليا، لكن حرارة الشمس، جعلتها تشعر بأنها دبقة من العرق، لدرجة أن قميصها القطني التصق على جسدها من البلل . . حتى أن لاوسون تضايق من الحر ونزل إلى الأسفل ليعود بعد لحظات وهو يرتدي شورتاً دون قميص. ونظر إليها قائلاً :

ـ لا بأس عليك. . ستشتري لنفسك ما تريدين حين نصل جبل طارق.

ـ سيكون هذا أمر رائع . . فما أرتديه كاد يتمزق من الغسيل اليومي.

عند منتصف النهار نزلت إلى المطبخ لتحضر الطعام. . وأحست بالراحة لوجودها في الظل ثانية. . بعد الطعام غسلت الصحون، ثم فتشت عن مناشف لتجففها بها. وجدت عدة مناشف جديدة في أدراج خزانة المطبخ، بعضها أحمر، وبعضها مخطط بالأبيض والأحمر . . رؤية المناشف اعطاها فكرة، فانهت ما تعمل به وأخذت مقصاً وإبرة وخيطاً أبيض من علبة الخياطة البسيطة، وبدأت تفصّل لنفسها ثوب سباحة بيكيني. واستغرق هذا ساعتين، صحيح أن ما صنعته لم يكن يشبه أي شيء قد تخيطه آلة خياطة، لكنها كانت راضية عن النتيجة النهائية. صنعت النصف الأسفل من منشفة حمراء، وكان صنعها سهلاً، مجرد

قطعة مبسطه مربوطة عند الجوانب. . أما القسم الأعلى فقد استخدمت له المنشفة المخططة بالأبيض والأحمر، وكانت خياطته صعبة، لكنها في النهاية كانت واثقة أن الرباط الذي استخدمه للكتفين لن يسقط.

حين ارتدت البيكيني وصعدت إلى فوق، كانت تحمل بيدها علبتين من المرطبات أخذتهما من البراد، وقالت :

ـ فكرت بأنك قد تحتاج إلى مرطب بارد.

ـ شكراً لك. . خذي الدفة لفترة بينما أشربها.

ـ لكنني لا أعرف كيف.

ـ الأمر بسيط . . انظري إلى هذه الإبرة وسط الدائرة هذه. . أديري الدفة دائماً لتكون الابرة في المنتصف. وسيبقى المركب سائراً في اتجاه واحد. تعالي وجرّبي.

أمسكت الدفة . . عيناها مثبتتان على الإبرة كي لا تنزحزح من مكانها . . وتابع :

ـ هكذا تماماً . . لا تديريها كثيراً . . قليلاً هنا وقليلاً هناك فقط.

وقف يراقبها ويرتشف العصير. . وبدا أنه لم يلاحظ ثوب سباحتها. . وركزت دايزي بقوّة على عملها، بالتدريج استرخت أعصابها، وخفّت قبضتها المتشددة على الدفة. . بعد أن بدأت تحس أن مياه المركب تمر عبر أصابعها التي تهتز برعشات متوالية من المحرك في الأسفل. وملأها إحساس مثير بالقوة. أدارت وجهاً ضاحكاً مشرقاً نحو لاوسون صائحة :

ـ هذا عظيم! لم يكن لديّ فكرة أنه سهل.

ضحك . . .

ـ ربما سأجعل منك بحارة ماهرة أيضاً.

ـ علمني!

ـ حسناً ولمَ لا ؟ سنبدأ من المقدمة حتى المؤخرة .

أخذ يشرح لها كل ما هو موجود على سطح المركب . . ومضت ساعة أحست أنها تتمتع فيها بقربه أخيراً قال لها :

ـ من الأفضل أن أتولى القيادة الآن . . فكتفيك أخذا بالاحمرار . لست واثقاً من وجود زيت شمس في الحمام لكن يمكن أن تستخدمي زيت زيتون بدلاً منه .

ـ لكن رائحته فظيعة .

ـ أفضل من أن تحترقي . ولا تبقي كثيراً في الشمس لأول مرة .

رفعت يدها بتحية ساخرة :

ـ حاضر يا كابتن .

ضحك، والتفت نحو البحر :

ـ على فكرة . . أعجبني ثوب السباحة .

ـ إذن لقد لاحظته .

هز رأسه ببطء، ثم التفت ليلتقي بعينيها :

ـ أجل . . لاحظته .

ـ لاوسون . .

استدار عنها :

ـ اذهبي من هنا . . وضعي بعض الزيت على جسدك .

استطاعت أن تلاحظ أن البقاء مع فتاة، لوحدهما ، لما يقارب الأسبوعين قد يكون أمراً محبطاً جداً لرجل . . أو في الواقع ، العكس بالعكس أيضاً .

استلقت على ظهرها تغمض عينيها إزاء نور الشمس الساطع . . أيمكن أن يكون هذا هو سبب قلقها وحالتها غير المستقرة . . الإحباط ؟ هل يرغب جسدها بما يرفضه قلبها ويحرمه عقلها؟ بالرغم من أنها كبيرة

ما يكفي ، إلاَّ أنها لم تشعر يوماً برغبة أن تتجاوز بعض اللمسات، وربما قبلة على الخد . . صحيح أنها قد لا ترغب في أكثر من هذا الآن . لكنها لم تتمالك من التساؤل عما قد تحس به بين ذراعي لاوسون، حين يكون الأمر جدياً . . إنه رجل خبير، حتى في جهلها تستطيع الحكم عليه . . . لكن هل يمكن، وفي ظروفهما هذه، أن يطلق لرغباته العنان معها ؟

ارتجفت فجأة بالرغم من الحر، بطريقة ما مجرد التفكير به مع علمها أنه لا يحس لها بشيء . . إذلال معنوي لها .

ـ دايـز . .

صوته من فوقها طرق أفكارها، فأجفلت تحس بالزيت لما كانت تفكر فيه .

ـ نعم . . ما الأمر ؟

ـ لقد بقيت في الشمس ما يكفي . . إما أن تضعي عليك القميص وإما أن تنزلي إلى تحت .

أيمكن أن تكون معاملته لها كطفلة إنه أب . . وله أولاد ؟ تلك الليلة سألته هذا مباشرة، بعد أن لم تعد قادرة على كبح فضولها :

ـ لاوسون . . هل أنت متزوج ؟

لاحظت أنه أجفل، ثم رد بهدوء بارد :

ـ هذا سؤال خاص وشخصي جداً .

ـ لا تحاول إبعادي عن الرد . ليس السؤال شخصياً أكثر مما سألتني . .

استدار لينظر إليها . . ثم قال فجأة :

ـ لا . . لست متزوجاً . . ولا تزوجت يوماً . . لماذا الانتظار حتى الآن لتسألي؟ عادة هذا أول سؤال يتبادر إلى ذهن أنثى حول رجل .

ـ لم أتساءل سوى الآن

www.elromancia.com

- تتساءلين عن ماذا ؟

- أتساءل لماذا أنت هكذا .

- إذن لقد بدأت التفكير بشخص غير شخصك . . وهذا تغيير مهم . . ربما بدأت تكبرين فعلاً .

- كنت أتساءل لماذا لا تعجبك النساء كثيراً .

ضحك ساخراً :

- بالعكس . . تعجبني النساء كثيراً . وتعرفين هذا .

- قد تتمتع بعلاقة معهن . . لكنك لا تحبهن . . ليس كبشر . تعاملهن . . كوسيلة لإرضاء نفسك .

- استمعوا للمحللة النفسية ذات التسعة عشر سنة . . حقاً دايز . . لقد أصبحت فصيحة اللسان !

عضت شفتها وأحست بالبؤس في داخلها . . وتمنت لو لم تبدأ هذا، كل ما أرادته الآن أن تزحف مبتعدة لتختبىء في مقصورتها . لكن لدهشتها تابع :

- بما أنك لم تريني بعد مع امرأة، لا بد أنك تعنين أنني لست معجباً بك، وربما حكمت بهذه الطريقة على أنني أعامل كل النساء هكذا . فكيف يمكنك إصدار مثل هذا الحكم عليّ ؟

- إنني أعرف . . سمه الغريزة . . إذا أحببت .

- آه . . الغريزة . .

- حسناً . . . ألا تعترف بها ؟

بعد صمت طويل . . قال :

- اعترف أن لا سبب يدعوني لأن أكون معجباً بالجنس الآخر . . فقد كنت أحب امرأة فيما مضى، وأردت الزواج منها .

- ماذا . . ماذا حدث ؟

- أوه . . الأشياء المعتادة . . التقت شخصاً آخر يمكنه أن يوفر لها أكثر مما استطيع فذهبت معه قبل شهر من زفافنا . حتى أنها أخذت هدايا الزفاف التي تلقتها معها !

حاولت إبقاء صوتها خفيفاً :

- أعتقد أن الرد التقليدي على هذا هو أنك محظوظ للخلاص منها قبل فوات الأوان .

- وهذا ما يظهر تماماً كم أن معرفتك بسيطة . لكنك محقة بأمر واحد . أنا لا أنظر إلى بنات جنسك بعين الرضى . وما من إمرأة التقيتها منذ ذلك الوقت جعلتني أغير رأيي .

استدار ليبتعد عنها ويختفي في المقصورات السفلى .

وقفت تراقبه يبتعد . . كراهية شديدة تعتمر في قلبها للمرأة التي آلمته بهذه القسوة، لكن هذا كان ممزوجاً باحساس غيرة . . فالحب الذي لا بد أعطاه لها، كان كبيراً . . لأنه سبب له ألماً مريراً . . وبقي معه حتى الآن .

www.elromancia.com

٦٠

الرغبة في الضياع

كان لاوسون راضياً من سهولة الابحار حتى أنه قال لدايزي أنهما سيصلان بعد حوالي الثماني وأربعين ساعة . . لكن تلك الليلة، وهو يجري مخابرته إلى نيوبورت، تغير صوت حركة المحركات . . ثم توقفت . كانت دايزي تنظف غرفة الجلوس واضطرت إلى الابتعاد عن طريقه وهو يعصف إلى الداخل ليفتح كوة في الأرض ويختفي فيها .

وقفت دايزي عند حافة الفتحة ونظرت إلى الأسفل متسائلة بقلق :

ـ ما الأمر؟ ما الذي حدث ؟

ـ المحركات توقفت، اذهبي إلى مقصورتي، واحضري لي ثوب العمل . . لو سمحتي؟

احضرت الثوب، ونزلت السلم إلى غرفة المحركات لتعطيه له . . وهو يلبسه سألت :

ـ ما رأيك بما حصل ؟

ـ لست أدري بعد .

ثم تحرك إلى الناحية الأخرى من المحرك الكبير .

ـ آه . . هذا ما ظننته . . «فلتر» الهواء لمبرد المحرك مسدود .

ـ أيمكنك فتحه ؟

ـ أجل . . بسهولة . . لكنه تسبب بازدياد حرارة المحرك . لذلك سأتفحصه لأتأكد أنه لم يصب بعطب .

بدأ يصفّر وهو يعمل دون نغمة محددة بينما جلست دايزي على طرف السلم . تراقبه معجبة بدقة حركات يديه، ومهارته في معرفة كل قطعة من المحرك، الأمر الذي قاده فوراً لمعرفة سبب العطل .

أخذت الحرارة تشتد في الأسفل . . ومرر لاوسون يده على جبينه لمسحه من العرق ويترك أثر الشحم الأسود عليه . دون أن يطلب منها، صعدت دايزي لتأتيه بعلبة مرطبات باردة .

ـ شكراً لك .

رفع رأسه ليشربها فاصطدم بسقف غرفة المحرك المنخفض ، فأخذ يلعن متألماً . . فضحكت عليه، وشاركها الضحك . . لكن، سرعان ما جمدا معاً بذهول لانطلاق صفارة الإنذار الآلية في المركب .

استعاد لاوسون وعيه أولاً . فرمى علبة المرطبات من يده وقفز من فوق المحرك إلى الجهة الأخرى وصاح بحدة !

ـ اصعدي إلى غرفة القيادة! أضيئي كل الأنوار والتي في الصالون العلوي أيضاً، وأديري زمور الطوارىء ، واتركيه يعمل . . ثم أحضري سترة نجاة والبسيها . . وضعي ما استطعت من طعام وشراب في الزورق المطاطي . . وابقي بقرب الزورق ومعك سكين حادة . . إذا شاهدت أي شيء يقترب، كائناً ما يكون، اقطعي الحبل ليهبط الزورق إلى الماء .

ـ لكن . . أنت ؟

ـ افعلي ما أقول . . لا تنتظريني . . يا إلهي . . أيجب أن يحدث هذا ونحن تحت رحمة الأمواج .

كان يعمل بسرعة وهو يصدر الأوامر، ورأت أنه يوصل بعض الأسلاك الكهربائية، فاستدارت لتطير فوق السلم ثم عبر الممر إلى الصالون الرئيسي متذكرة أن تضيء الأنوار وهي في طريقها . . في غرفة القيادة، كان صوت صفارة الإنذار يصمّ الآذان . . واستطاعت رؤية النقطة الحمراء على لوحة الرادار تضيء وتطفيء إلى ما لا نهاية . . بشهقة إحباط مجردة نظرت إلى لوحة القيادة . . كيف لها أن تعرف أين هو زمور الطوارىء والأضواء الإضافية؟ كادت تلتفت لتعود إلى لاوسون تسأله، فلمحت خارج النافذة أنواراً ثابتة على بعد حوالي الألفين متر عنها . . . لم تعرف للحظات ما هي، ثم صاحت رعباً، وأدركت أنها أنوار سفينة كبيرة . . يا الله ! إنها ضخمة جداً! كمدينة عائمة ! ومتجهة رأساً إلى المركب ! مرت عيناها بيأس فوق لوحة القيادة لتقرأ فوق أحد الأزرار «أنوار احتياطية» فضغطت الزر بذعر، على الفور شع المركب كله . . بمصابيح ضخمة كالأنوار الكاشفة أضيئت فوق سواري مرتفعة، وبدأت تدور ببطء . . نورها القوي يقطع الظلمة حيث يستدير . . وشهقت بالارتياح لتلتفت مفتشة عن زر الزمور . . أخيراً وجدته فوق رأسها تقريباً . . بامتنان ضغطته لتسمع صوته المرتفع يجوب فوق البحر، وأحست بالارتياح .

وهي تركض عائدة إلى المطبخ، نظرت ثانية إلى السفينة القادمة، كانت أقرب لها الآن . واستطاعت رؤية جسمها الضخم الأسود يرتفع فوق الماء . . فشهقت برعب، وبدأت تحمل الطعام والشراب من المطبخ إلى زورق النجاة . . ثوب النجاة الذي وضعته حولها باستعجال كان يعيق تحركها . . بكل تأكيد ستراهما السفينة . . هذا إذا كان هناك أحد على سطحها ولم يكن الجميع في الأسفل .

فتشت في أدراج أدوات الطعام لتجد سكيناً حادة لم تدرك أنها

جرحت أصابعها وهي تحملها، ثم ركضت لتقف قرب زورق النجاة . . لكنها سرعان ما شهقت واستدارت لتعود إلى الأسفل لتقول بفزع :

ـ لاوسون . . إنها سفينة، سفينة كبيرة! وأنا واثقة أنهم لم يرونا .

كان لا يزال يعمل، وبدت لهجته هادئة وهو يرد :

ـ هل فعلت كل شيء قلته لك ؟

ـ أجل . . أجل . . تعال معي . . ماذا تفعل ؟

ـ عودي إلى الزورق، حين تصبح السفينة على بعد خمسماية متر من المركب اصعدي إلى الزورق واقطعي الحبل ثم جذّفي مبتعدة عن المركب قدر استطاعتك . اتفهمين ؟

ـ لا . . لن أذهب بدونك .

كلماتها خرجت طوعاً دون اضطرار للتفكير فيها . . لم تترك عينا لاوسون العمل الذي يقوم به . . لكنه صاح بشراسة .

ـ افعلي ماأقوله لك . . ! إذهبي من هنا إلى الزورق !

ـ لا تصرخ هكذا لاوسون فليتشر! لن أتركك هذا المركب من دونك . . وهذا أمر نهائي !

للحظة رفع نظره إليها ثم عاد إلى عمله، وشاهدت فمه يتكور إلى ما يشبه البسمة . فصاحت به :

ـ لأجل الله هذا ليس بالأمر المثير للضحك . . ارجوك أخرج من هنا وتعال معي . .

ـ دايز . . كوني فتاة طيبة وافعلي ما طلبته منك . . استطيع العناية بنفسي، وتعرفين هذا .

نظرت إليه عاجزة :

ـ أوه . . لاوسون .

رد بثبات :

ـ أرجوك . . حبيبتي .

ترددت لحظات، ثم استدارت شاهقة باكية لتركض إلى السطح مرة أخرى . . وبآهة أسى صعدت الزورق . ووضعت السكين على الحبل . . نظرت لترى أن السفينة أصبحت قريبة، ولا مجال للتردد، بدأت تحزّ الحبل . . لكن شيئاً ما منعها . . ولم تستطع أن تكمل . عضت على شفتها ورفعت السكين ثانية . . لكن هذه المرة بتصميم أكيد . . لاوسون قال إنه قادر على العناية بنفسه، ويجب أن تثق به . . في تلك اللحظة دوى زمور الباخرة الضخمة كانفجار الرعد . . يخفي صوت زمور المركب وكأنه صوت عصفور . لقد شاهدتهم السفينة ! أوه . . شكراً لله !

تنهدت بارتياح ونزلت من الزورق إلى السطح ، خلعت سترة النجاة وركضت إلى غرفة القيادة لترسل رداً سريعاً من صافرة الاوندين . . متوقعة أن ترى السفينة تغير اتجاهها . . لكن شيئاً لم يحدث، كانت لا زالت متجهة وكأنها هابطة من أعلى عليهم . . جمدت مكانها تحدق بها تهبط بالتدريج بحجمها الكبير، ومقدمتها المرتفعة تشق البحر نحوهم .

العملاق الرهيب الفولاذي أصبح على بعد مئتي متر من المركب، ودايزي ترفع رأسها تنظر إليه . . أحست فجأة أنها تُدفع جانباً حين دخل لاوسون راكضاً، وقام بشيء فوق لوحة القيادة، يداه تعملان بسرعة البرق ثم انفجرت المحركات إلى الحياة، ولف الدفة دورة كاملة وأطلق المحركات إلى أقصى سرعة لها لتشق طريقها في البحر، تكاد تلامس مقدمة ناقلة النفط العملاقة ، المياه المندفعة من تحتها صدمت المركب لتضربه بشكل أسوأ من العاصفة . . لكنهما بهذا كانا قد ابتعدا،

ومد لاوسون يده ليطفيء جهاز الإنذار، وزمور الطوارىء، تاركاً لصوت أبواق السفينة المرعبة وحدها أن تشق هدوء ليل المحيط .

أبطأ لاوسون سرعة المركب، والتفت إليها :

ـ آسف . . كان هذا قريب جداً .

ـ قريب؟ كدنا نقتل! حتى أنهم لم يرونا سوى في آخر لحظة حتى عندها لم يزعجوا أنفسهم بالإبطاء أو الانحراف .

ـ لا يستطيعون هذا . سفينة بهذا الحجم يلزمها على الأقل ثلاثة كيلو مترات لتتمكن من التوقف أو تغيير مسارها . ونحن محظوظان أنهم رأونا أصلاً . . لو حدث شيء لكنا مجرد مركب آخر اختفى في المحيط دون أثر له .

ـ وكيف تمكنت من إدارة المحرك ؟

ـ لم أتمكن من إدارته . . في المركب محرك إضافي للطوارىء لكنني كنت مضطراً لربط أسلاكه إلى البطارية ليدور .

ـ أتعني أنك كنت تخاطر بحياتك لأجل هذا، وأنت قادر على ترك المركب والابتعاد بزورق النجاة ؟ ماذا لو تأخرت ؟

ـ الأمر يستحق المجازفة . . ثم أن هذا المركب غالٍ جداً لأخاطر بخسارته دون مقاومة .

ـ أيها . . أيها . . كل ما تهتم به هو مركبك العفن ! ألا يهمك أننا كدنا نقتل ؟ لم يكن أمامك فرصة تذكر لو صدمتك السفينة . حتى ولو نجوت من الصدمة لغرقت تحت أمواجها . . أنت مجنون ! أنت . . غبي . . مجنون . . و . . .

ـ هاي . . مهلك قليلاً . . أنا لست وحدي المجنون . . صحيح ؟ لماذا لم تهربي بالزورق حين كانت الفرصة أمامك ؟

لم ترد . . فهي نفسها لا تعرف لماذا . . اندفعت تندس قريبة من

www.elromancia.com

دفئه وقوته ، تحس فجأة بالبرد. فاشتدت ذراعاه حولها تعطيها الطمأنينة والأمان . ببطء توقف ارتجافها ، وأحست بتقارب جسديهما . . فتحتا أنفها امتلأتا برائحته، وبدأت أصابع الأحاسيس تنتشر فيها. ببطء رفعت رأسها إليه :

ـ لاوسون . .

ـ لا بأس عليك . . انتهى كل شيء الآن .

أحنى رأسه نحوها ، وجهه على بعد سنتمترات منها . . فانفرجت شفتاها تمدهما نحوه . . لكن شفتاه لامستا خدها بلطف . . قبلة طمأنينة لا أكثر . . مع ذلك فقد قنعت بها . . قنعت بملمس شفتيه الناعمتين على بشرة خدها، لكن دفئها سرعان ما انتشر في أوصالها فرفعت ذراعيها لتلفهما على عنقه . . وضغطت نفسها إليه .

أحاسيسها كانت قد غلفت كل مشاعرها بحيث لم تحس به يجمد فجأة . . ثم أمسك بذراعيها يبعدهما عن عنقه، ودفعها بعيداً :

ـ لا !

للحظات حدقا ببعضهما . . وأخذ قلبها يبطىء ضرباته بعد أن توقفت الدنيا عن الدوران من حولها .

ـ لاوسون . . .

لكنه رفعها عنه بغضب وخشونة .

ـ أيتها الحمقاء! ألا تعرفين ما تفعلين ؟ . . . سأذهب الآن لأكمل إصلاح المحرك الرئيسي. ومن الأفضل أن تفرغي الطعام من زورق النجاة .

استفاقت في اليوم التالي في مزاج غريب متعاكس . . لحظة كانت تحس أنها عند قمة العالم . . وفي اللحظة التالية مشدودة الأعصاب على وشك البكاء تود أن تضرب أي شيء . . أي شيء !

لحسن الحظ كان لاوسون قد استيقظ قبلها وضع فطاره بنفسه وإلاّ لما كانت تحملت أن تقف قرب الطبّاخ في مثل هذه المرارة.

كان اليوم شديد الرطوبة، وسرعان ما أصبحت مبللة بالعرق وهي تسير على السطح . . فكرت بتحضير شراب بارد لها . . لكنها قررت أنها ستعود إلى الإحساس بالعطش بعد عشر دقائق . . . وأصبح ثوب السباحة مبللاً بالعرق . . أطراف القماش الخشنة تخدش ذراعيها كلما حركتهما ، فمدت يدها إلى الخلف وفكت رباط قطعة الثوب العليا . واستلقت على وجهها . . هكذا أفضل . . القطعة مرخية الآن ولم تعد تخدش بشرتها . . ثم سيساعدها هذا على تلوين الخط الأبيض على ظهرها . .

أغمضت عينيها . . همم . . . كم تشعر بالراحة وهي هكذا ! إنها لم تعرض ظهرها كله من قبل للشمس . . لكن سعادتها كانت ممتزجة بالترقب . . ماذا سيقول لاوسون لو شاهدها هكذا ؟ أحست على الفور برعدة الخوف . لكن عليها أن تثبت لنفسها أنه يجدها جذابة حقاً . . في البداية كان يقول أنه يريدها لأنها أنثى . . . ومتوفرة له . . لكنه الآن إذا أرادها بالرغم من نفسه ، فبالتأكيد هذا يدل على أنه يهتم بها قليلاً . .

فتحت عينيها لتسترق نظرة نحوه . . كان لا يزال جالساً وظهره إليها . . فاغمضت عينيها ثانية لتغفو قليلاً .

ـ ماذا تحاولين أن تفعلي بحق الجحيم !

صوته المتجهم القريب منها أخافها فوراً . كان يقف قربها يشمخ عالياً، يداه على خصره، جسده يقطع عنها أشعة الشمس ويسبب ظلاً أسوداً فوق ساقيها . . وبدأ قلبها يضرب بجنون ، لكنها تمكنت من النظر إليه دون أن تفضح اضطرابها .

ـ أوه . . مرحباً لاوسون . . لا بد أنني غفوت . هل حان موعد

الغداء ؟

ـ سمعتني جيداً . ما الذي تحاولين فعله ؟

رفعت يدها تظلل عينيها متظاهرة أنها لم تفهمه ، لكن النظرة الباردة السوداء في عينيه جعلتها تغير رأيها .

ـ أحاول أن أحصل على سمرة متساوية على كل جسدي . . بالطبع .

ـ أعيدي الثوب إلى مكانه .

لكنها لم تتحرك ، بل نظرت إليه عابسة :

ـ أوه لاوسون . . لا تكن جاهلاً قديم الطراز! كل الفتيات ينزعن قطعة ثوب السباحة العليا هذه الأيام .

ـ ليس على متن مركبي . . ارجعيه مكانه دايز .

ـ لا . . لن أفعل .

ضاقت عيناه ، فتوقف قلبها عن الخفقان عدة ضربات . خائفة مما قد يفعل . . لذلك خاب أملها حين قال لها باعتدال :

ـ ستحرقين جسمك هكذا .

اندفعت إلى التهور :

ـ لماذا لا تضع لي بعض الزيت إذن ؟

فكر قليلاً ثم قال :

ـ حسناً . . قفي .

ببطء وعيناها على وجهه وقفت وزجاجة الزيت في يدها . . وبصمت أخذ الزجاجة وصب قليلاً منها في راحة يده . . وبدأت نبضاتها تتسارع منتظرة لحظة يلمسها . . تخاف أن تبعد عينيها عن وجهه . ثم انحنى ليضع الزجاجة من يده . . فجأة أحست بالخوف واستدارت عنه .

النظرة الباردة على وجهه فعلت فيها فعل دلو ماء بارد انسكب على

وجهها . . للحظات لم تستطع أن تصدق أن ملامسته لها لا تأثير لها عليه إطلاقاً . . عندها خطت إلى الأمام مبتعدة عن يديه . . فسألها ببرود :

ـ أيكفيك هذا ؟

ـ أجل . . أجل . . شكراً لك !

ـ سأعود إلى غرفة القيادة إذن .

التفت مبتعداً ، لكنها استوقفته .

ـ لاوسون . .

ـ نعم ؟

ـ أنا . . أنا . .

التوى فمه ساخراً :

ـ ما بك دايز ؟ لِمَ الخوف فجأة ؟ كنت واثقة من نفسك منذ لحظات .

ـ أعرف . . لكنني . .

اقترب ليقف قربها . ومد يديه لينزع يديها عن صدرها ، فصرخت .

ـ لا !

ـ كنت تواقة لكشفهما أمامي فلماذا تخبئيهما الآن ؟

ـ الأمر مختلف الآن .

ـ مختلف . . لماذا؟ لأن مؤامرتك الصغيرة لإثارتي فشلت ؟ هل ظننت حقاً أنني قد أتأثر لمنظرك؟ يا إلهي كم أنت ساذجة !

دموع الإذلال انهمرت . . فصاحت به :

ـ توقف عن هذا ! دعني أذهب .

بجهد متفوق جذبت نفسها منه ، تشهق شهقات الإذلال والخجل . ثم ركضت إلى مقصورتها ، لتقفل الباب وراءها وتبكي عارها فوق وسادتها .

www.elromancia.com

حين عادت إلى الخروج ، ترتدي الجينز والقميص ، كان جالساً على الطاولة، دون أن ينظر إليها أشار إلى النافذة :

ـ اصعدي إلى السطح والقي نظرة .

اطاعته آلياً، وتمسكت بالسياج دهشة .

حين شاهدت أنواراً تترقرق من بعيد، ولحق بها لاوسون فسألته بذهول :

ـ ما هذه ؟ سفن ؟

ـ لا . . إنه جبل طارق . . أترين ذلك النور الكبير ؟ هذه هي منارة الميناء . . سنرسوا هنا الليلة، ونتوجه إلى هناك في الصباح .

بقيت لوقت طويل تحدق بالأنوار . . تدرك أن رحلتها مع لاوسون قد انتهت . . لكن الآن وقد حلّت لحظة الفراق . . فتشت عواطفها جيداً، تفتش عن الراحة للتحرر من قربه منها . . التحرر من تعلقها بالمركب . . التحرر من غطرسة لاوسون وعجرفته إلى الأبد . . لكنها لم تجد من كل هذا شيئاً . . حاولت أن تجد الرضى الذي توقعته حين ستكشف عن هويتها، ويأتي والداها لأخذها، لكن أيضاً كان ناقصاً . . علمت الآن أنها كانت ساذجة غبية . . . وأن من حق أبويها أن يغضبا منها . . لكن بطريقة ما، أحست أن هذا أمر غير أساسي .

ثم ماذا عن لاوسون . . هل هو مرتاح لوصولها ؟

لقد اصطحبها معه بصعوبة، وفي رأسه أشياء تختلف عن تفكيرها الطفولي بتعليم أهلها درساً . . لكنها بمجرد وجودها معه تعلمت أشياء مهمة حول الرجال . وأحست أنها أصبحت أكبر سناً، وأكثر حكمة مما كانت منذ أسبوعين . وقررت الآن أنها لن تتمكن من الزواج من براين على أي حال . . فهي لم تكن تحبه أبداً، وأنها قبلت به لأنه كان يوفر لها طريقة للخلاص من حياتها المملة .

بقرارها هذا كانت تنتظر أن ترتفع معنوياتها . . لكن أنوار جبل طارق كانت قريبة جداً، لا تزال تنير ما تبقى من آخر يوم لها على متن الأوندين . . فامتلأ قلبها بإحساس ضياع . . خسارة . . تبدو أوهام بشكل ما . فشدت على السياج الحديدي لا تريد أن تتركه . . لا تريد أن تترك المركب إلى الأبد .

فجأة توضح لها شيء لمع في خاطرها كلمعان برق العاصفة . إنها تحب لاوسون . وأنه هو من لا تريد تركه . . وتسللت الفكرة ببطء إلى رأسها، وأخذت تكبر . . وتملأه بفرح عجيب . إذن . . هذا هو سبب قلقها ومزاجها المجنون ؟ إنها تحب الرجل، ولم تكن تدري ! وملأت نفسها سعادة غامرة . . . ومعها جاء إحساس كبير بالهدوء واستقرار النفس . لم يعد يهمها أنه صدها بقسوة ذلك اليوم بالذات . وأنه لم يظهر لها أي دليل على الاهتمام بها . . فالخوف والقلق سيأتيا فيما بعد . . أما الآن، فكل ما تريده، ما تحتاجه ، أن تنسى نفسها، تضيع، تغرق عميقاً بهذا . . بهذا الإحساس الأكثر سحراً في كل حياتها الشابة .

٧٠

لن أترك المركب

بعد وقت طويل في البحر الواسع، بدت آخر أميال للوصول إلى المضيق مكتظة بالسفن. مرت بالمركب سفينتان سياحيتان كبيرتان في طريق عودتهما إلى اميركا، أو إلى جزر الهند الغربية، كان سطحاهما يكتظان بالسياح المرتدين أزياء مزركشة صيفية.. إضافة إلى سفن شحن تدخل أو تخرج من الميناء الإسباني الذي يرتفع فوق العلم البريطاني.

خضرة اليابسة الخصبة بدت غريبة أمام عيني دايزي بعد الزرقة المستمرة للبحر والسماء. على الشطآن وفوق التلال بيوت جميلة تبرق بالألوان، معظمها زهري سقوفها من القرميد اللماع تحت أشعة الشمس.

أوقف لاوسون المحركات، ليترك السفينة تتسلل ببطء عبر الميناء نحو المرسى الذي رتب له مكاناً سلفاً عبر الراديو، ورمى الحبل إلى بحار على اليابسة الذي ربط المركب بسرعة.. وبهذا انتهت الرحلة الطويلة إلى هنا، ولم يبق إلاّ أن ينهيا معاملات الدخول إلى الأراضي الاسبانية ثم يتجهان إلى جزر الكناري.. استعداداً لحضور معرض «كان»

للزوارق.. والتفت إلى دايزي قائلا :

ـ أوكي.. كل شيء على ما يرام الآن.. سأغير ملابسي وأذهب إلى الجمارك، ثم سأتصل بعميلنا في الكناري، بعدها سأذهب إلى مكتب البريد لأرى إذا كان هناك رسائل لي، وساحضر جواز سفرك إذا كان قد وصل إلى هنا، بعدها تنزلين إلى البر لشراء الثياب.

أشاحت وجهها بسرعة، ثم غطت اضطرابها بالقول :

ـ ألا يمكن أن أجيء معك ؟

ـ لا.. لن تتمكني من هذا حتى حصولك على جواز سفرك.. ومن الأفضل الآن أن أتحرك.

حين برز من المقصورات بعد قليل، يرتدي بذلة رمادية وربطة عنق، نظرت إليه فاغرة الفم.. كم من الغريب أن يؤثر عليها وهو منظره بالثياب الكاملة أكثر مما كان يؤثر عليها في الشورت دون قميص. ربما لأن هذا كان بسبب أنها لم تشاهده من قبل بثياب كهذه، ولم تتصور أنه قد يكون فاتناً هكذا.

التفكير به أخرج كل تفكير آخر من رأسها لفترة طويلة بعد ذهابه. لكنها على مضض جرّت نفسها للتفكير بما يخصها.. لا شك عندها أن لاوسون سيستشيط غضباً حين يكتشف أن جواز سفرها لم يصل. ويبدأ بطلب التفسير. ومن الأفضل لها أن ترتب أفكارها، وتقرر رأيها قبل عودته، عما ستقوله له.. كل ما كانت واثقة منه أنها لن تخبره الحقيقة. فهو عندها سيعيدها إلى بلادها مرغمة.. وهي تريد أن تبقى معه.. ليس المهم أنه كان قاسياً معها، ولا يهم أنه لم يظهر لها أي دليل عن اهتمامه بها، فهي تتمسك بأمل أن تتمكن من البقاء، بعدها ربما، وبعد وقت، قد يبدأ بالاهتمام بها.. إذن ستستمر في خداعه وستتظاهر أن لا فكرة لها لماذا لم يصل جواز سفرها، وابتسمت لنفسها بحبور. فلا

شيء يستطيع فعله إذا لم تسمح لها السلطات النزول إلى البر دون جواز سفر .

بقي أمامها مشكلة ذويها، ولأول مرة أحست دايزي بوخز ضمير . لكن الرد على هذا كان سهلاً . . فجلست على الفور تكتب ثلاثة رسائل قصيرة. إثنتان لأبويها تخبرهما أنها آمنة سالمة وأنها لا تنوي العودة بعد . والثالثة ، وهي الأهم ، إلى براين ، تخبره فيها أن مشاعرها نحوه تغيرت ولم تعد ترغب في الزواج منه . . أخذت بضع نقود انكليزية وجدتها في درج خزانة لاوسون، وأعطتها مع الرسائل إلى ولد عامل في المرفأ ساعدها بكل سرور، وشددت على إرسالها بالبريد العادي كي لا تصل الرسائل قبل خروج الأوندين بأمان نحو وجهتها الأخرى . وكل ما أملت به، أن يكون الولد صادقاً، شريفاً، وأن يفعل ما طلبته منه ، لكن لا بديل عن هذا أمامها .

عاد لاوسون في وقت متأخر . . حين شاهدته كان القلق يأكلها ، فقفزت واقفة تكاد تصرخ ارتياحاً، وركضت إليه تمسك ذراعه حال أن اقترب منها :

- أين كنت . . توقعت عودتك منذ ساعات !

- العميل الذي قابلته أصرّ على دعوتي للعشاء . . لماذا القلق . . ؟ ماذا حدث ؟

- لا شيء . . كنت . . فقط . . قلقة عليك .

صمت لحظات ، ثم قال بلطف :

- آسف . . لست معتاداً على أن يقلق عليّ أحد . خذي . . أليس هذا ما كنت تنتظرينه ؟

مديده بعلبة كبيرة وهو يبتسم :

- ما هذا ؟

- ثياب لك . بالطبع .

ضحك حين أضاء وجهها سعادة :

- أوه . . لاوسون . . شكراً لك !

مدت يدها إلى العلبة، لكنه رفعها إلى فوق رأسه مداعباً ، فأخذت تقفز كالطفل لتمسك بها، ووضعت يدها الأخرى على كتفه تستند إليه، وانتهى بها الأمر وهي تتكىء عليه . . للحظات أصبح وجهها قريب جداً من وجهه، دون تفكير قبلته على خده شاكرة ، تهمس له :

- أنا سعيدة بعودتك .

ثم أخذت العلبة ، وركضت إلى الأسفل .

في مقصورتها أفرغت العلبة فوق السرير الضيق، وأخذت تقلّب المحتويات . قبل أي شيء وجدت حذاءاً صيفياً ملوناً، ناسب مقاس قدميها بشكل رائع . ثم وجدت ثوب سباحة بيكيني قطني أزرق اللون . وبنطلونان قصيران بلون أبيض وأحمر . وبلوزتان مناسبتان لهما .

ثم وجدت بعض الملابس الداخلية، فصاحت سعادة . . وجرّبت كل شيء، ولم تجد أي خطأ فيها . . . طوال حياتها كان لها ما شاءت من ثياب . . لكن ما من شيء منها سبب لها مثل هذه الإثارة والسعادة . وأخذت تلتفت وتتلوى أمام المرآة محاولة رؤية مظهرها من الخلف، مدركة أن لاوسون لديه خبرة كبيرة ليتمكن من شراء ثياب امرأة بالقياس المناسب .

كان لاوسون يجلس على المقعد فوق السطح ، وكوب عصير مثلج في يده، ساقاه ممدودتان أمامه . . وأحست دايزي بخفقان شديد لقلبها قبل أن تتمكن من الاقتراب منه ، والوقوف أمامه :

- كيف أبدو ؟

مرت عيناه عليها، لكن وجهه لم يقل لها ما يفكر، ثم قال :

ـ تبدين . . مختلفة .

هكذا فقط ؟ دون أي دليل في صوته على الإعجاب . . ضحكت في محاولة إخفاء إحباطها :

ـ حسناً . . هذا ما كنت أرجوه .

ـ آسف . . هل أصب لك العصير ؟

جلست إلى جانبه :

ـ لا . . شكراً لك على الثياب .

ـ لم يكن لديّ وقت يكفي للذهاب إلى مكتب البريد اليوم . فقد اشتريت لك هذه الملابس من محل في الفندق الذي تعشينا فيه . على الأقل، سيكون لديك ما تلبسينه حين تنزلين للتسوق .

اتكأت على كتفه . . فسألها :

ـ أتحسين بالبرد ؟

ـ قليلاً .

حرك ذراعه ليضعها حول كتفيها، فرفعت قدميها لتضعهما تحتها وضمت نفسها إليه .

ـ هل سيحضر العميل ليشاهد المركب ؟

ـ أجل . . وقال أنه لو أعجبه فسيطلب بضعة من طرازه .

ـ متى سيجيء ؟

ـ صباح الغد . لست أدري بالضبط متى، لكنه قال أنه سيحاول الإبكار . . أريد أن أعيد شحن المركب بما يلزمه لأقلع ثانية إلى الكناري . . وماذا عنك؟ هل ستبقين هنا قبل عودتك إلى أميركا؟ لا تقلقي حول المال سأعطيك ما يكفيك للبقاء هنا اسبوعين على الأقل، والسفر كذلك .

ـ لست مضطراً لإعطائي أي مال . .

قاطعها بحدة :

ـ هراء ! كل بحارة السفن يشترطون في عقد عملهم الحصول على أجرة العودة . . ثم أنا مدين لك براتبك .

أمسكت بشجاعتها بكلتا يديها . وقالت بخفة :

ـ قد امتع باقامتي هنا . . لكنني لا أريد البقاء . . أظن أنني سأذهب إلى «كان» معك .

أحست به يجفل، ثم يجلس في مقعده، ويسحب ذراعه من على كتفيها . وقال لها بحدة :

ـ لا يمكنك هذا ، كما أخشى . . فعليك الحصول على سمة دخول إلى فرنسا أولاً .

ـ ما من مشكلة . . سأبقى في المركب . كما أنا الآن .

ـ لكنني أنوي بيعه في «كان» أو ربما في «الكناري» . . على أي حال، الأفضل لك العودة الآن .

حاول التحرك ليبتعد لكنها أمسكت بذراعه :

ـ أرجوك لا تذهب . . ليس الآن ! لا يبدو لي من اللائق أن أعمل لك بكفاءة وتعيدني إلى بلادي قبل انتهاء الرحلة .

ـ ولماذا تريدين البقاء ؟

أرادت أن تقول له : لأنني أحبك . . لأنني أريد أن أبقى إلى جانبك . . أن ألمسك . . أريد لقلبي أن يتفجر بالسعادة ! لكنها لن تستطيع قول هذا . . طبعاً، ليس الآن ، ليس بعد ، أو ربما لن تتمكن أن تقوله أبداً . .

وردت :

ـ لأنني سعيدة هنا . . سعيدة معك .

وكان الرفض الفوري . . وقف لاوسون ليواجهها :

ـ لا . . أنت سعيدة فقط لأنك بدأت تكبرين . . بدأت تتحررين من بعض كبتك أخيراً . فإذا كنت تريدين البدء باختبار الدنيا ، فمن الأفضل أن تعودي .

ـ لا أريد أن أختبر أي شيء .

ـ أوه . . بلى . . أتظنين أنني أعمى ؟ أنت الآن لا تستطيعي كبت فضولك . .

ـ إذن . . ألا تظن نفسك مجبراً على إنهاء . . ما بدأت به ؟

ـ ولماذا أنا ؟ لماذا لا يكون أحد أقرانك في بلادك ؟

لعقت شفتين جفتا بسرعة :

ـ لأنني لم أعرف مثلك من قبل . . أقراني كانوا مجرد أولاد . . بالمقارنة معك .

وضع يديه في جيبيه :

ـ إذن ، أنا أول رجل كنت إلى قربه . . لكن حين تعودين فلا بد أن تقابلي أحداً ، وتقعين في حبه . .

ـ لن أفعل . . أعرف أنني لن أفعل . . أريد البقاء هنا . . معك .

ـ أنت صغيرة جداً دون خبرة بالنسبة لي دايز . . أنت مثل البرعم الذي يتوق ليتفتح .

وقفت ببطء . . واقتربت منه :

ـ علمني كيف . . إذن .

لم يرد عليها لفترة طويلة ، وعلمت أنها خسرت المعركة قبل أن تبدأها :

ـ حين أريد معاشرة أحد . . أريد هذا أن يكون متساوياً . . والتعليم لا يتناسب مع طبيعتي . . عودي إلى موطنك . . وقومي

بالاختبارات مع من هو في مثل سنك دايز . . أنا لا أعطي دروساً للفتيات الصغيرات !

ملأ اليأس قلبها لكنها تمكنت من الرد :

ـ أوه . . لكنك علمتني ، ربما ليس كما تعني . . لكنني تعلمت الكثير منك في رحلتي هذه . . أحس بالبرد ، وأنا متعبة . . تصبح على خير . . وشكراً ثانية للملابس . . ذوقك جميل .

ـ تصبحين على خير دايز . .

هزت رأسها ونزلت إلى مقصورتها .

في اليوم التالي ، نزل لاوسون إلى البر باكراً ، آملاً أن يعود قبل وصول العميل ، لكنه سرعان ما عاد :

ـ دايز . . دايز . . . أين أنت ؟

ـ أنا هنا . . العميل لم يصل وأنت غائب .

ـ كنت في مكتب البريد . . جواز سفرك لم يصل .

ـ أوه . . ألم يصل ؟

ضاقت عيناه !

ـ لا . . ويبدو لي أنك كنت تعرفين هذا . . وبكل تأكيد سأعرف الحقيقة .

وتقدم نحوها ، لكنها هربت منه نحو مقصورتها لتوصده بينهما ، لكنها لم تستطع الوصول . . فأمسك بها ليديرها نحوه :

ـ كنت تعرفين أن الجواز لن يصل . . إليس كذلك ؟

ـ بالطبع لا . . أعني . . أنت تؤلمني !

ـ أريد الحقيقة . . وأريدها الآن . . من هو الرجل الذي اعطيتني عنوانه؟ الديه حقاً جواز سفرك ؟

ـ لا تتدخل فيما لا يعنيك! واتركني . الخوف دفعها لرفع صوتها

ومتابعة المقاومة، محاولة تخليص يديها منه . . كانت ترتدي ثوب السباحة الجديد الذي اشتراه لها . . فأحست بالعرق يملأ جسدها ليصبح منزلقاً . . وقال لها بشراسة :

ـ ستخبريني أيتها السافلة الصغيرة . . اتسمعين؟ وإلاَّ فسوف . .

سمعا صوت وراءهما :

ـ هاي . . أنتما؟ هل اقاطعكما في شيء ؟

استدار لاوسون لينظر إلى الرجل الذي كان قد تسلق إلى سطح المركب، ثم ترك يديها ببطء :

ـ لا شيء لا يمكنه الانتظار .

وتحرك ليستقبل الرجل، بينما أخذت دايزي تفرك معصميها . . كانت تعلم أنه قادر على جعلها تعطيه الحقيقة كاملة ، حال أن يصبحا لوحدهما ثانية .

وسأله الرجل :

ـ الديك الكثيرات مثلها في طاقم بحارتك ؟

ـ لا . . إنها الوحيدة .

ـ لا أستطيع لومك . . تبدو متوحشة أكثر من استطاعة أي رجل أن يتعامل معها .

ـ كيف تبدو ليس من شأنك . .

رفع الرجل يديه إشارة الإستسلام :

ـ أوكي! كما تشاء . . أنا آسف . . لم أكن أعرف هذا .

ـ إذن فلنتحدث بالعمل . . أيمكن ؟

وقاد الرجل ليعرض عليه المركب . . ومضى على دايزي وقت طويل تجلس لوحدها منتظرة رحيل الرجل . . كانت تأمل أن يحصل لاوسون على اتفاق معه ، فهو بهذا سيكون في مزاج جيد . . فهي تود أن تفتح

كل شيء بصراحة أمامه . . وأن لا تعود للتظاهر . لكن لو فعلت هذا، فما من شك أنه سيسلمها فوراً إلى السلطات البريطانية، التي ستوصلها بدورها إلى السفارة الامبركية والتي ستعمل على ترحيلها، أو استدعاء ذويها .

حين غادر الرجل، توقعت أن يأتي لاوسون إليها فوراً . . لكن لدهشتها عاد إلى مقصورته ثانية . . . فلحقت به ، في المدخل ترددت . . لكن مرت عدة دقائق قبل أن يبرز من المطبخ ويراها واقفة مترددة . . فتوقف عند الطاولة ينظر إليها متجهماً، وقال :

ـ تعالي إلى هنا .

ـ لاوسون . . أرجوك لا تكن غاضباً . أنا آسفة لخداعي لك . لكنني كنت مضطرة . . . فأنا . .

وصمتت ، فقال بلهفة مصطنعة :

ـ هيا أكملي . . أرجوك . . كنت ستعطيني بعض الأكاذيب الجديدة . . وأنا مهتم أن اصغي إليك .

ـ ماذا . . ماذا تعني ؟

ـ تعرفين جيداً ما أعني . . فأنا أشك في أن تكون كلمة واحدة مما قلته لي طوال الرحلة صحيحة . . لقد أسأت تقديرك فأنت لست الفتاة البريئة التي ظننتك . . هل أنت فعلاً جاين دايزي . . ؟ لا . . أعرف أن هذا ليس اسمك . . بل كان أحد أكاذيبك . . صحيح ؟ .

ـ أنا آسفة . .

قاطعها فوراً :

ـ أوه . . أرجوك لا تضيعي وقتك بالاعتذار . . فكلانا يعرف أن لا تعطين الأسف . . لماذا لا تخبريني إذن من أنت ولماذا اختبأت على مركبي ؟

www.elromancia.com

نظرت إليه مخيبة الأمل، كانت تتوقع أن يكون غاضباً حول جواز سفرها . . وأجابت :

ـ أنا لم اختبىء في مركبك . . قلت لك : وقعت في الماء عند الرصيف في رود ايلند . . ووصلت إلى مركبك . . وكنت متعبة فنمت .

ـ وتتوقعين مني حقاً أن أصدقك ؟

ـ لكنها الحقيقة . . أقسم لك .

ـ حقاً ؟ والعنوان الذي أعطيتني . أهو صحيح أيضاً؟

أطرقت برأسها :

ـ لا . . لم يكن صحيحاً .

ـ واسمك أهو حقاً جاين دايزي ؟

هزت رأسها بصمت ، فأكمل :

ـ ما اسمك إذن ؟

ـ دعني أحاول أن أقول لك ما حدث . . كنت في حفلة ، ، ووقعت في الماء . . كما قلت لك تماماً . . إلاّ أنني . . حسناً كنت هاربة . . من شخص ما . . و . .

ـ ومن هو ؟

ـ لا يهم . . ما يهم فعلاً أنني وصلت إلى مركبك وغفوت حيث وجدتني . . كنت متعبة . . تعيسة . . بسبب أشخاص محددين في حياتي . . فقررت أن ألقنهم درساً . . فطلبت منك أخذي معك . . رغبت في أن أختفي لفترة لأخيفهم . . أجعلهم يقلقون عليّ .

رد عليها بازدراء، غير مصدق :

ـ أوه . . هيا الآن . . بكل تأكيد يمكنك اختراع كذبة أفضل . هل هذه هي القصة كلها ؟ أواثقة أنك لم تنسِ شيئاً ؟

ـ واثقة .

ـ إذن . . ما كانت هذه تفعل في درج خزانتك ؟

مد يده إلى جيبه ليخرج حليّها . . ورماها على الطاولة . أول رد فعل لها كان الدهشة ، فقد نسيت أمر الحليّ تماماً . . ثم تصاعد سخطها حين أدركت أنه فتش في أشيائها . فاستدارت إليه غاضبة :

ـ كيف تجرؤ ؟ ليس من حقك العبث بأشيائي !

ـ هذا مركبي . . وأفعل فيه ما أشاء . . والآن ، من أين أتيت بهذه الحليّ . . ولمن هي ؟

ـ إنها لـي .

قهقه عالياً :

ـ كم أنت ممثلة بارعة ، مهما كان اسمك . لكنك تكررين كذبك كثيراً .

دون إنذار مد يده ليمسك رسغها ويلوي ذراعها خلف ظهرها :

ـ هناك طريقة وحيدة لأعرف الحقيقة منك ، وهي القوة ! من أين حصلت على هذه ؟ هل سرقتها؟ هل أنت هاربة من الشرطة ؟ الهذا اختبأت في مركبي ؟

ـ لا . . ! ليس الأمر كما تظن . . قلت لك إنها لي . . أيها القذر أنت تؤلمني . . دعني !

ـ أوه . . لا . . لن أدعك قبل أن أعرف ما أريد أن أعرف . شد ذراعها إلى الأعلى ، فصرخت ألماً :

ـ إنها الحقيقة . . أقول لك . . إنها هدايا لي .

ـ هدايا ؟ ممن ؟

وخفف ضغطه على ذراعها . . فحاولت أن ترد لكن صوتها اختنق بالألم والدموع . فصاح بها :

- تكلمي . . أهي هدايا من رجال ؟

صاحت به :

- لا ! إنها هدايا من أمي ! ومن براين .

- ومن هو براين ؟

- إنه . . كان خطيبي .

تركها فجأة حتى كادت تقع ، ثم أدارها لتواجهه .

- أنت مخطوبة ؟

مرتجفة أخذت تتحسس معصمها المصاب :

- . . . كنت . . ولم أعد مخطوبة .

- ماذا تعني ؟

- تلك الليلة التي وقعت فيها إلى الماء . . كنت في حفلة خطوبتي . . ولهذا كنت أرتدي هذه الحليّ . . أفهمت . . براين أعطاني الخاتم ، وأمي أعطتني الباقي . . لكن . . لكن . . . أخرجني إلى سيارته . . و . . أراد أن يستبق الزفاف . . لكنني لم أستطع أن أوافق . . لكنه أصرّ ولم يتوقف عن مهاجمتي . . فهربت منه وحاولت الاختباء . . فوقعت في الماء .

صمت لحظات كان يحدق فيها ونظرة شحوب أبيض على وجهه :

- هل شاهدك أحد تصعدين إلى المركب ؟

هزت رأسها نفياً . . فاشتدت حدة صوته :

- أتعني أن لا أحد يعرف أنك هنا ؟ وأن ما يعرفه أبواك وخطيبك أنك قد تكوني غرقت ؟

شهقت ثم هزت رأسها .

- أيتها السافلة الخالية من القلب والعاطفة ! ألا تتوقفين أبداً للتفكير بمشاعر الآخرين ؟

- قلت لك . . كنت تعيسة . . أردت تلقينهم درساً . .

- فتتركين من يحبونك يعتقدون أنك مت منذ أسبوعين ؟ يا إلهي . . أنت . . أنت إنسانة مختلفة !

أجفلت لكلامه :

- لم أكن أعلم أن الوقت سيطول هكذا . . ظننت الأمر لن يستمر أكثر من بضعة أيام .

نظر إليها بازدراء واحتقار ، فاعادت فتح فمها محاولة الشرح . لكنها أقفلته ثانية فهو لن يفهمها ، ولم تمر به تجربة كهذه . استدار عنها يذرع الممر بنفاذ صبر ، ثم قال بحدة :

- ادخلي ووضبي حوائجك .

نظرت إليه بفزع :

- لماذا ؟

- سأسلمك إلى سلطات المرفأ . وسيتصلون بسفارة اميركا . . لتتصل بدورها مع ذويك وتعيدك إلى منزلك .

- لن يكون هذا ضرورياً . . لقد كتبت لهم رسائل أبلغهم فيها أنني بخير .

- كيف ؟ ومتى ؟

- بالأمس حين كنت على الشاطىء . . كتبت رسائل وأعطيتها لصبي كي يرسلها بالبريد .

- حسناً . . سيستغرق وصولها أياماً . . ماذا قلت لهم ؟

- إنني بخير . . ولخطيبي أنني لا أريد الزواج منه .

- وهل أخبرت أحداً منهم أنك معي ؟

هزت رأسها نافية . . فسأل :

- لماذا لا ؟

- لأنني لا أريد العودة . . أريد البقاء معك .

- هذا مستحيل، وتعرفين هذا . سأنزلك إلى الشاطىء على الفور كي تبلغ السلطات أهلك بمكان وجودك على الفور .

- لا . . لن أذهب معك .

وقفت ترتجف تحدياً . . فتقدم منها

- ماذا قلت ؟

- قلت أنني لن أذهب . . ولن أقول لك اسمي الحقيقي كذلك !

- حسناً . . لا تقولي . . اتظني أن لهذا أي فرق؟ كم تظنين عدد الفتيات التي أبلغ عن اختفائهن في البحر تلك الليلة؟ كل ما عليّ أن أفعله هو الإتصال بالراديو إلى مركزنا في نيو بورت ، حيث أحصل على كل المعلومات خلال ساعة . . فهل ستكوني متعقلة أم استخدم الراديو ؟

أشاحت بوجهها كارهة :

- اسمي . . دايزي . . ويليامز .

- وعنوان أبويك؟

- قلت لك إنهما مطلقان . . والدي يعيش هنا في اسبانيا ولم أره منذ مدة طويلة . . وأمي تعيش في نيويورك . . . وستكون مشغولة جداً في كتابها الجديد ولن تفعل سوى أن تطلب من سكرتيرتها أن ترسل لي تذكرة سفر لأعود .

- ومن هم والداك بالضبط ؟

- والدي هو السير جوفرو ويليامز ، عالم الذرة الانكليزي الشهير . . وأمي شيبا نانينغايل . . . وأرى أنك سمعت عنهما .

- ومن لم يسمع ؟ يا إلهي . . دايز . . ماذا فعلاه بك كي تكرهيهما هكذا ؟

- لا أكرههما . . أردتهما فقط أن يحسا بي . . أن يدركا أنني موجودة . . هذا كل شيء . . أوه . . أرجوك لاوسون . . ألا تفهمني ؟

امتدت يداه تمسكا يديها :

- ربما أستطيع أن أفهمك . . لكن يجب أن تفهمي أن ليس لتفهمي أي فارق . . لا أستطيع أخذك معي . . يجب أن اسلمك لسلطات الميناء، وربما تمكنت هذه من الاتصال بابيك هنا في اسبانيا . . وهذا يسهل عليك الأمور .

رمت بنفسها عليه باكية :

- لا! لا أستطيع الذهاب !

- دايز . . ليس هناك طريقة أخرى .

لفت ذراعيها حوله تتعلق به بشدة :

- أرجوك لا تجبرني على العودة . . أنا . . أنا أحبك . أرجوك لا تبعدني عنك .

دفعها عنه بحدة :

- لا . . أنت لا تحبيني .

- لكن هذا صحيح !

لكنه استدار عنها بشراسة :

- صحيح ؟ أم أن هذه كذبة أخرى لك؟ ربما تظنين أنك تحبيني . . لكنك في الشهر الماضي كنت تظنين أنك تحبين شخصاً آخر بما يكفي لتوافقي على الزواج منه . . وربما في الشهر القادم ستقعين في حب رجل آخر وتنسين حتى وجودي .

- لا !

واضح أنه لا يريد تصديقها، فتدحرجت دمعة ذل على خدها . فرفعت يدها تمسحها كالطفلة . استدار لاوسون لينظر خارج النافذة .

ـ اذهبي ووضبي أشياءك . . سأنزلك إلى الشاطىء .

ـ لا . . !

ـ لا فائدة من مقاومتي دايز . . ستنزلين إلى الشاطىء حتى ولو حملتك . .

ـ لن أذهب، ولن تستطيع إجباري . . فلو فعلت سأقول للجميع أنك خطفتني وابقيتني في مركبك بالقوة . . وإنك . . إنك . . سأقول أنك تحرّشت بي .

٨٠

نهاية أم بداية

للحظات ساد صمت متوتر، ثم قال لاوسون :

ـ أتحاولين أن تهددينني ؟

ـ أجل . . أنا أهددك .

ـ وهل تعتقدين حقاً أن أحداً سيصدقك ؟

ـ ولمَ لا ؟ فهذا صحيح تقريباً . . ألم تحاول إغوائي ؟

نظر إليها ساخراً :

ـ أنت تضيعين وقتك . . لا شيء سيردعني عن تسليمك .

ـ ولا حتى لو قلت أنني سأعقد مؤتمراً صحفياً لأقول للعالم كله أنك خطفتني واغتصبتني؟ أتظن بعدها أن أحداً سيشتري أي مركب من مراكبك لاوسون؟ هذا إذا لم تُعتقل وتوضع في السجن ؟

شعلة غضب أضاءت عيناه :

ـ أتعلمين دايز . . أنت محاربة قذرة . . حين تريدين شيئاً لا تهتمين كم كذبة تخترعينها، أو من قد تؤذين، طالما تحصلين على ما تريدين . أليس كذلك ؟

احمر وجهها ثم قالت هامسة :

www.elromancia.com

ـ آسفة . . كل ما أريده أن أكون معك .

نظر إليها ببرود ثم بدا أنه قرر شيئاً :

ـ حسن جداً . . بإمكانك البقاء .

ـ وتعد أن لا تخبر السلطات عني ؟

ـ لن أخبر أحداً . . لقد أضعنا ما يكفي من وقت . . اذهبي وقفي على استعداد لفك الحبال، أريد أخذ المركب إلى خزانات المياه الحلوة لملء الخزانات .

ـ هل ستسافر إلى الكناري اليوم ؟

ـ لا . . فالعميل سيحضر لي عقداً أوقعه، ثم هناك ترخيص الاستيراد من هنا وترخيص التصدير من اميركا . . كذلك أريد تفحص المحركات بعد تعبئة الوقود والزيت .

ـ لكن سنغادر قريباً ؟

ـ حال أن استطيع . لا أريد البقاء هنا أكثر مما أنت راغبة .

لكن مر يومان وهو لا يزال بانتظار توقيع العقد . . قيل له أن هناك تأخير في الحصول على رخصة التصدير وعليه الانتظار حتى يوم الاثنين . لم يحدثها خلال هذين اليومين سوى لاصدار الأوامر . . وكانت تحس بالبؤس، فهي تعرف أنها ارتكبت أكبر الأخطاء حين قالت له أنها تحبه وهي تعلم أنه لا يهتم بها .

يوم الأحد ، استفاقت على أصوات أجراس كنيسة قريبة من الميناء . . . الصوت ملأ نفسها بالأمان والرضى . . وتشتت كل هذا حين شاهدت لاوسون . . بعد الفطار أخذت تغسل الصحون بينما صعد هو إلى السطح ليقوم ببعض الأعمال . . من خلال النافذة كانت تطل على رصيف الميناء، فاسترعى اهتمامها عدة سيارات فخمة تسير بسرعة في الطريق الرئيسية ثم تدخل حرم الميناء لتقف أمام مركز الجمارك . إمرأة

وعدة رجال خرجوا من السيارات . بعض الرجال في بذات رسمية، وبدأوا السير بسرعة فوق الرصيف، ثم رحلت سيارتان أخريتان . ونزل منهما عدة أشخاص يحملون آلات التصوير ليسرعوا خلف الذين سبقوهم . كان اهتمامهم ينصب على رجل أسود الشعر يرتدي نظارات شمسية كان على رأس الجمع السائل والمرأة إلى جانبه محتبئة بين الرجال، والرسميون يفسحون الطريق لهما . . كان الجميع في عجلة وراقبتهم دايزي بذهول . .

فجأة وقع الصحن الذي كانت تمسكه إلى المغسلة . . كان يجب أن تعرف من هؤلاء على الفور . . فالرجل مميز، وسيم التقاطيع معروف لملايين من الناس حول العالم . . والمرأة كانت لا زالت جميلة، وتماثله سحراً وفتنة . . ومن لا يعرف السير جوفرو وليامز وشيبا نانينغايل ؟

ركضت دايزي خارج المطبخ، غضبها أعماها عن الخوف من أن يراها الصحافيون . كان لاوسون يقف عند المقدمة، يداه على خصره، يراقب الجمع يقترب من المركب . وعلى وجهه نظرة تجهم تغيرت فوراً حين سمع صوت قدميها الراكضتين :

ـ لقد أخبرتهما! أيها القذر! لقد وعدتني أن لا تخبر أحداً لقد وعدتني! أوه . . لماذا فعلت هذا؟ اتكرهني إلى هذه الدرجة ؟

أمسك ذراعها يشد أصابعه حولها :

ـ لا . . أنا لا أكرهك .

ـ لماذا فعلت هذا إذن ! لماذا ؟

ـ كان يجب أن أعلم أبواك أنك حية وبخير . فتركهم في الظلام أكثر من هذا أمر قاس . . وأنا لست قاسياً لهذه الدرجة دايز . . لكنني حافظت على وعدي . . فأنا لم أبلغ السلطات بل اتصلت بمكتبنا في اميركا وطلبت منهم الاتصال بأمك . وتركت لها تقرير ما إذا كانت

ستاتي أم لا .

- أوه . . لا بد أن تأتي . . لكن أتظن هذا بسببي؟ إنها لا تتحمل إضاعة فرصة لتظهر صورها إلى العلن . . . هذا كل شيء .

- دايز . . هذا غير صحيح . . لا بد أنها قلقت حتى الموت . .

- أنظر إليهما . . ألا ترى المصورين؟ وكيف تظن أن المصورين عرفوا بهذا؟ إنها هي من أخبرتهم، بكل تأكيد . . إنها يعيشان على الدعاية، وخاصة أمي . . أوه . . لماذا فعلت بي هذا ؟

- عودي إلى مقصورتك ورتبي نفسك . . .

دفعها أمامه إلى أن أنزلها من السلم . . فسارت أمامه دون مقاومة، تعلم أن كل شيء انتهى . وأن معركتها لأجل حبها خاسرة قبل أن تبدأ .

انتظرت بعد أن رتبت نفسها لوقت طويل . ثم سمعت صوت لاوسون :

- حسناً دايز . . بامكانك الصعود الآن .

بيد مرتجفة فتحت الباب، ورفعت عينيها إلى لاوسون أشار إليها لتتقدمه إلى الصالون الرئيسي . . كانت تتوقع أن يكون المركب مكتظاً بالناس . . . لكن كان هناك أربعة فقط . . استداروا نحوها وهي تدخل .

على الفور وقفت أمها مسرعة إليها :

- حبيبتي . . . ! أوه يا مسكينتي الحبيبة! لقد ظننا . . أوه . . ظننا شيئاً رهيباً حصل لك !

ردت دايزي ببرود :

- مرحباً أمي . . مرحباً أبي .

- مرحباً يا ابنتي . . أهلاً بك في عالم الأحياء . . لقد جعلتنا نموت

قلقاً . .

صاحت أمها :

- قلقاً! لقد كدت أجن !

مدت يدها إلى وجه ابنتها لتكمل :

- لكنني كنت أنانية . . انظري حبيبتي . . . هذا براين .

أدارت رأسها إلى حيث يقف براين، ينتظر أن ينظر إليه أحد . . تقدم منها ليضع يده على كتفها محاولاً تقبيلها . . لكنها أدارت وجهها بعيداً وانتهى به الأمر إلى التراجع محمراً أمام نظر الجميع . . وقالت له :

- مرحباً براين .

- حبيبتي أنا . . .

اختفى صوته أمام نظرة الغضب في وجهها، وتقدم الرجل الرابع منها ، صحيح أنه لا يرتدي بذة رسمية، إلاّ أنه من الواضح أنه رجل رسمي .

- آنسة ويليامز . أنا آسف لازعاجك في مثل هذه اللحظة العاطفية . لكن هناك وقت طويل أضعناه في البحث عنك . . وأنا بحاجة لأن أعرف كيف وصلت إلى المركب .

بصوت بارد يخلو من أي عاطفة شرحت له كيف وقعت في الماء وكيف حملها المدّ إلى المركب، وكيف نامت متعبة، ولم تستفيق إلاّ بعد أن ابتعد المركب في عرض البحر . سجل الرجل بضع ملاحظات على دفتر معه وقال :

- فهمت . . هل كنت تعلمين أن هذا المركب يحتوي على جهاز ارسال يكفي للاتصال باميركا؟

- أجل .

- وهل تعلمين أنه لم ترسل أية رسالة تعلم والديك بأنك حية سوى

صباح الأمس ؟

نظرت إلى لاوسون بحدة، ثم أدارت نظرها إلى رجل الشرطة :

- أجل . . أعرف .

- أكان هذا حسب رغبتك آنسة ويليامز . . أم أن السيد فليتشر رفض ارسال الرسالة ؟

ترددت قبل أن تجيب ولاحظت تصلب لاوسون . .

- كان هذا حسب رغبتي . . لقد أعطيت السيد فليتشر اسماً مزيفاً وعنواناً مزيفاً . . ولم يعرف من أنا حقاً حتى يوم الجمعة .

- يجب أن أسألك بعد يا آنسة ، ما إذا كان قد تحرش بك بأية طريقة ، أو فعل بك شيئاً خلافاً لرغبتك .

- لا . . لم يفعل لي شيئاً . . برضاي أو غصباً عني .

استدارت تبعد نظرها عن الجميع قلبها مثقل بالمرارة وسمعت الرجل يكمل ليقول شيئاً عن الاستخفاف وعدم تحمل المسؤولية وإضاعة الوقت . . لكنها لم تعد تسمع شيئاً . . كانت تنظر دون أن ترى خارج النافذة . . لا ترى شيئاً سوى أشعة الشمس المنعكسة فوق الماء . . لكن والدها اسكت الرجل ، فغادر المركب .

ساد صمت طويل كانت تعرف خلاله أن الجميع ينظر إليها، بانتظار أي نوع من الشروح . لكنها وقفت فاقدة الحس غير قادرة على الكلام .

أخيراً استدار جوفرو ويليامز إلى لاوسون يمد له يده :

- أظن أنني مدين لك باعتذار سيد فليتشر . . حين سمعنا بداية أن دايزي معك ظننا ما ظنناه . . لكن ، عليّ الآن أن اشكرك لعنايتك بها، ونأسف أنك تورطت في مشاكل عائلية . وأظن أننا نستطيع الاعتماد على كتمانك ؟

رد عليه لاوسون بسخرية :

- كتماني؟ بعد أن أحضرت معك كل هؤلاء الصحافيين ؟

- نحن لم نتصل بهم . . مخابرتك اللاسلكية سمعت، ووصلت إلى الصحافة . . وصدقني أن ما من آسف على هذا أكثر مني . . دايزي ليست مضطرة لتحمل هذا لمجرد أنها ابنتنا . ويبدو أن أمامنا بضع مشاكل يجب أن نحلها .

والتفت إلى ابنته ليقول بحدة :

- دايزي . . اعتقد أن عليك قول شيء للسيد فليتشر قبل أن نذهب .

أغمضت عينيها لحظات، ثم تنفست عميقاً، وأجلست كتفيها مستديرة لتواجه الجميع . . تقدمت نحو لاوسون مبقية نظرها بمستوى صدره، وقالت بصوت فتاة صغيرة مؤدبة :

- شكراً لك على سماحك ببقائي في مركبك، سيد فليتشر . . وأنا آسفة إذا كنت قد سببت لك المتاعب .

استدارت فوراً لتخرج من الصالون ، ووالداها يركضان خلفها .

حال أن دخلت ووالديها السيارة ، التفت إليها أبوها :

- والآن . . أمامك بعض التفسير تقومينه ايتها الشابة .

- قبل كل شي، أريد إرجاع هذا لبراين . . لقد كتبت لك أعلمك بفسخ الخطوبة . . وستجد الرسالة حين تعود .

نظر براين إليها بذهول :

- لكن . . لماذا ؟

- أظنك تعرف لماذا؟ وأشكرك لقدومك لكن رحلتك كانت دون فائدة .

ساد صمت قصير، ثم سألها أبوها :

- أتودين إخبارنا ما حصل ليلة الخطوبة ؟ ولماذا لم ترسلي لتخبرينا

أنك حيّة ؟

هزت كتفيها :

ـ الأمر لا يهم حقاً . . كنت تعيسة . . ولم يبدو لي أن هناك ما أريد العودة لأجله . . فبقيت بعيدة . . وأنا آسفة لازعاجكم لكنني لم اعتقد إطلاقاً أن أحداً سيهتم بي .

التفت جوفرو ويليامز بعد صمت حاد إلى أمها :

ـ أيتها السافلة؟ ماذا فعلتِ بها بحق الجحيم ؟ ما كان يجب أن اتركها لك . كان يجب أن أصرّ على أخذها معي حين انفصلنا، كما كنت أنوي أن أفعل .

شحب وجه شيبا نانينغايل :

ـ جوفرو . . أقسم لك . .

ـ لا تزعجي نفسك، لقد سمعت كل أعذارك ووعودك آلاف المرات، من قبل .

استدار إلى دايزي :

ـ آسف حبيبتي . كنت اعتقد أنك سعيدة مع أمك . . ظننت . . حسناً . . لا بأس . . لقد أخذت الأمر بالطريقة السهلة وافترضت أنك سعيدة . . لكن يبدو أنني كنت مخطئاً . ستبقين معي هنا في اسبانيا . . ولن تبقي مع أمك بعد اليوم .

ردت دايزي بحدة :

ـ لا . . . بل سأعود إلى اميركا . . وسأجد لي عملاً ومنزلاً خاصاً . . لم أعد بحاجة إلى أي منكما . . أنا لا أحتاج . . لا أحتاج إلى أحد . .

في السادسة والنصف، وهي تغير ملابسها في حمام غرفتها في الفندق استعداداً للعشاء مع والديها . دقت أمها الباب وقالت إن السيد فليتشر ينتظرها، فطلبت منها أن تسأله الصعود إلى الجناح . وجففت نفسها

مقطوعة الأنفاس . . ثم ارتدت الروب الأبيض الفاخر الذي كانت أمها تعلقه خلف باب الحمام . وأخذت يدها ترتجف وهي تمشط شعرها .

كان يرتدي ثوباً رسمياً آخر، كحلي هذه المرة حين سمع باب غرفتها ينفتح استدار ببطء لينظر إليها دون ابتسام . فقالت له :

ـ مساء الخير . . هل أقدم لك شراباً ؟

ـ شكراً لك . . أرغب في القهوة .

تقدمت إلى ابريق كهربائي فيه قهوة جاهزة وصبت له، ثم ناولته الفنجان . . فقال لها :

ـ وجدت هذه في الدرج الذي كنت تضعين فيه حليك .

ومد يده بفردة قرط كانت قد تركتها عمداً في الدرج على أمل أن يجدها ويجيء بها إليها . . لكن طريقة اعطاءه لها ذكرتها بالطريقة التي أعادت فيها الخاتم لبراين . . ولم تستطع أن تصدق أنه يمكن أن يحس ولو بجزء بسيط من الكراهية التي أحست بها ساعتها نحو براين . . وسألها :

ـ لماذا لم تتهميني باغتصابك كما هددتي ؟

ـ لست أدري، فأنا لم استطع حين واجهت الأمر .

ـ حسناً . . أنا شاكر لك . . أنا راحل في الغد .

ـ في الغد ؟

ـ أجل . والأفضل أن أذهب . . وداعاً دايز .

ـ لا . . ! لا تذهب . . لاوسون، كنت أعني ما قلته لك . أريد الذهاب معك .

ـ وهل تركت قرطك عمداً ؟

ـ أجل . . أردت رؤيتك ثانية . . لأنني . . أحبك لاوسون .

ـ هذا ما قلته من قبل . . لكنك تظنين نفسك تحبينني . . بقاؤك مع

www.elromancia.com

رجل أكبر منك سناً، عاملك كامرأة ناضجة، جعلك تشعرين بالحب لي .

ـ هذا غير صحيح ! أعرف حقيقة مشاعري، ولن تتغير . . أرجوك صدقني . . أنا . .

ـ لا ! أنت لا تحبيني . . وأنا لا أحبك .

آلمها كلامه حتى أنها أجفلت كمن تلقت ضربة .

ـ لا أصدقك . . وأعتقد أنك جئت لأجلي . . صحيح أن ما تحس به قولاً يسمى حباً . . لكنك تهتم بي . . اتعلم . . أحس بالأسف عليك . . لأن امرأة آلمتك، تخاف أن تعترف بمشاعرك . . أنت تخاف أن تترك نفسك تحب .

تقدم نحوها خطوة غاضبة لكن دخول أمها في تلك اللحظة أوقفه .

ـ أه . . سيد فليتشر . . أنا آسفة لعدم وجودي لاستقبالك . كنت استعد للعشاء . كم تبدو مختلفاً اليوم سيد فليتشر . أم تسمح لي بدعوتك لاوسون .

ـ بكل سرور سيدتي .

وهكذا أكملا حديثهما، ثم جلسا جنباً إلى جنب، فانسحبت دايزي بسرعة إلى غرفتها . كانت تسمع ضحكته وهي جالسة على الفراش . . حين سمعت الباب الخارجي يقفل وراءه توجهت إلى النافذة، تنظر إليه يغادر الفندق ، ويكمل طريقه سيراً على قدميه عبر الحديقة . . كانت مستغرقة في النظر إليه حتى أنها بالكاد أحست بأمها تقف إلى جانبها تتبع نظر ابنتها ثم تسأل :

ـ اتحبينه كثيراً ؟

استدارت نحوها ببطء ثم رفعت رأسها تحدياً :

ـ أجل . . . أحبه .

ـ لماذا لا تقولي له إذن ؟

ـ قلت له . . لكنه لا يريدني .

ـ أوه لأجل السماء دايزي . . اتظنين أنني لا أعرف الطرق بين المشاعر الحقيقية والمزيفة ؟

ـ لكنني لا أفهم . .

ـ لأنك مغفلة كبيرة، أكثر منه .

ـ لكنه ليس مغفلاً .

ـ بلى . . كل الرجال الذين يحبون مغفلون . . إنه يعتقد أنه لا يناسبك، وإنك متعلقة به فقط . . فإذا كنت تريدينه، يجب أن تقنعيه بحبك .

نظرت إلى أمها عاجزة :

ـ لكن كيف ؟ لن يصغي إليّ .

ردت الأم نافذة الصبر .

ـ إذهبي خلفه . . الآن . . وقبل فوات الأوان . . أظهري له اهتمامك به . . اجعليه يأخذك معه . . لا تقفي هكذا . . هيا انطلقي . .

نظرت دايزي مرة ثانية إلى الحديقة لتراه يتحرك ثانية، ثم رأته يلتقط زهرة، وأطبق يده عليها وبدا كأنه يريد رميها من جديد . . وتذكرت قوله «أنت برعم ينتظر أن يتفتح» . . . لكنه عاد ليضعها في جيبه قبل أن يستدير ويسرع الخطى مبتعداً . وسمعت أمها تقول :

ـ خذي واحدة من حقائبي، سأضع لك فيها ما قد تحتاجين له . . ولا تنسي جواز السفر .

خرجت شيبا من الغرفة لتعود بحقيبة نصف مملوءة وضعت فوقها ثياب دايزي .

ـ أظن هذا كل شيء، وهاك بعض المال للتاكسي . .

ـ شكراً يا أمي . . ودعي أبي عني . . هذا إذا لم أعد .

ـ طبعاً حبيبتي .

اسرعتا معاً إلى الباب الخارجي للجناح، ثم توقفت دايزي تنظر إلى أمها متسائلة :

ـ لِمَ تفعلين هذا لي ؟

ترددت شيبا قليلاً ثم قالت :

ـ حين كنت وأباك ننفصل تدريجياً، كنت تكسبين حبه وأخسره أنا. أرادك معه، لكنني لم أسمح له بهذا لأنني أردت أن أؤلمه، وكنت أغار منك، حتى أنني لم أسمح لك بزيارته حين كان يطلبك . ربما الآن سأتمكن من التعويض عليك قليلاً . حظاً سعيداً يا أعز الناس على قلبي واتمنى أن تحصلي على الرجل الذي تحبين، وحين تحصلين عليه، تأكدي من أن لا تخسريه كما حصل لي .

لامست وجه ابنتها بحنان وابتسمت لها :

ـ إذهبي الآن .

ـ وماذا عنك . . ؟

ـ أنا ؟ حسناً، سمعت أن علاقة أبيك مع زوجته الحالية ليست جيدة . . وغرفته في آخر الممر . . سأتأكد من هذا بنفسي . . وسأرى إذا كان بإمكاني استعادة الرجل الذي أحبه !

ابتسمتا لبعضهما، لأول مرة كان التفاهم جسراً يربط علاقتهما المشروخة .

مرت عشرون دقيقة تقريباً وهي جالسة في المركب متوترة قبل أن يعود . . عشرون دقيقة أمضتها وأعصابها متلفة . . وقع خطواته فوق الرصيف، وصلتها بهدوء . ثم تردد قليلاً أمام المركب، فتصورت

دايزي أنه قد شاهد النور داخله . ثم انطلق مجدداً، بسرعة . . فاستوت في السرير، وجذبت الأغطية فوقها ، وقلبها يخفق بجنون .

انفتح الباب بقوة ليتوقف لاوسون جامداً كالميت عند الباب، يحدق فيها غير مصدق. كانت دايزي قد رتبت ما ستقوله في رأسها وهي تنتظر . . لكن كل الكلمات تلاشت من رأسها، ولم تستطع سوى الجلوس كالبلهاء تنتظر ما سيفعل . مرت عدة لحظات ليستعيد وعيه، ثم دخل المقصورة وأقفل الباب وراءه .

ـ منذ متى أنت هنا ؟

ـ ليس من وقت طويل . . أخذت تاكسياً من الفندق بعد أن خرجت .

تجهم وجهه :

ـ حسناً . . بإمكانك إعادة ارتداء ملابسك، لأنني سأعيدك إلى هناك .

ـ أخشى أن لا أستطيع فعل هذا . . أترى . . فكرت أنك ستحاول فعل شيء كهذا ، فرميت ملابسي إلى البحر .

ـ وهل فعلت هذا بحق الله ؟ اعتقد أنك هربت ثانية دون إعلام والديك ؟

ـ لا . . في الواقع أمي اقنعتني بالمجيء إلى هنا . يبدو أنها تظنك تهتم بي .

ـ حقاً ؟

ـ أجل . . وأنا أظن هذا أيضاً . وإذا فتشت في جيب سترتك ، ستعرف السبب .

ارتفع حاجباه، ووضع يده في جيبه، ثم تغيرت ملامح وجهه، فأخرج الزهرة لينظر إليها ذابلة في يده . ثم رفع بصره إليها ببطء،

www.elromancia.com

فقالت له :

ـ لقد تذكرت ما قلته لي، وهذا ما أعطاني الشجاعة .

كانت على وشك البكاء حين رد عليها :

ـ عرفت أنني أحببتك يوم رأيتك بثوب السباحة وأحسست بالغيرة لكشفك جسدك . . ولو كان أمامي . كنت أشك في هذا منذ البداية ، لكنني ساعتها تأكدت .

حدقت به فاغرة الفم . فخلع سترته وربطة عنقه ، وأكمل :

ـ قلت لنفسي أنني أكبر منك بثلاثة عشر سنة، وأنك أصغر من أن تعرفي ما تريدين . لكن هذا لم يغير في الأمر شيئاً . كلما كنت أراك، ألمسك، كنت أزداد رغبة فيك . محاولاً أن ألعب دور الأخ الكبير، خاصة حين بدأت تثيرني . . لكن حين قلت لي أنك تحبيني، وأنك مخطوبة لشخص آخر . فكرت أن ما يمكن أن أفعله هو أن أخرج من حياتك، وأن أجعلك تكرهيني . . لكن يبدو أن كل شيء فكرت به لم ينجح . .

ـ صحيح . . لم ينجح !

مد يده ، وسحب برقة الغطاء من بين يديها ، وشعلة رغبة حارة في عينيه .

ـ أتدركين أنني قبل أن أضع يدي عليك . . يجب أن أجعلك زوجتي أولاً ؟

ابتسمت . . عيناها تشعان بالحب والسعادة .

ـ كنت آمل بهذا .

مال نحوها يقبل رأسها . . ثم قال بصوت مرتجف أجش :

ـ حسناً . . على هذا الأساس من التفاهم . . من الأفضل أن نتحرك على الفور .